روايات
مصرية للجيب

٩٨

ملف المستقبل
مصر في غدا؟؟

نيران الكون

د. نبيل فاروق

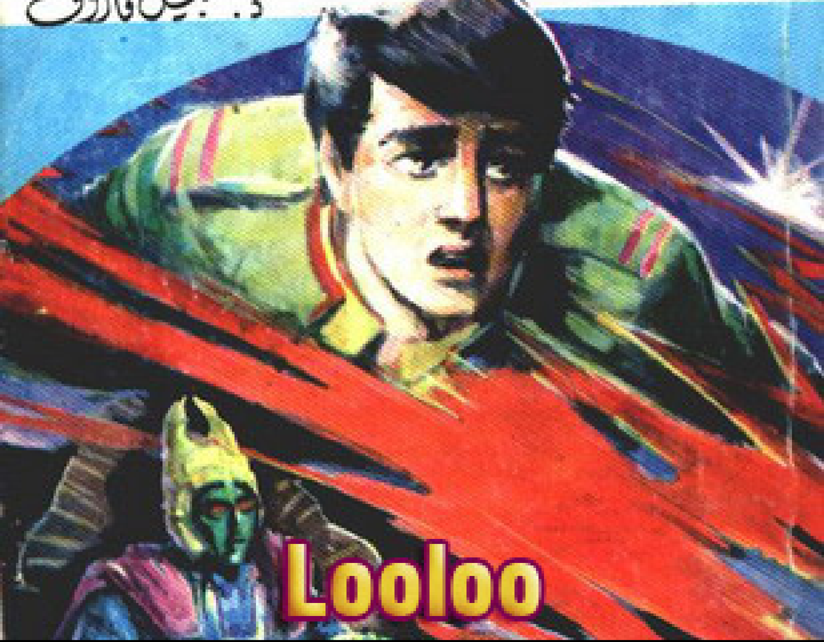

Looloo

www.helmelarab.net

ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض مصر ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية .. يدور العمل فيها بهدوء تام وسرّيّة مطلقة .. من أجل حماية التقدم العلمى فى مصر .. ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية التى هى مقياس تقدم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف يعمل فريق نادر تم اختياره بدقة بالغة :

ـــ نور الدين : واحد من أكفأ ضباط المخابرات العلمية يقود الفريق .

ـــ سلوى : مهندسة شابة ، وخبيرة فى الاتصالات والتتبع .

ـــ رمزى : طبيب بارع متخصِّص فى الطب النفسى .

ـــ محمود : عالم شاب وإخصائى فى علم الأشعة .

فريق نادر يتحدَّى الغموض العلمى والألغاز المستقبلية .. إنهم نظرة أمل للمستقبل .. ولمحة من عالم الغد .

د . نبيل فاروق

١ ـ المحتلون ...

بدأت الشمس الكبرى رحلة المغيب ، على كوكب (أرغوران) ، الذى يبعد عنا مئات السنوات الضوئية ، واستعدت شمسه الصغرى للشروق ، لتمنحه ذلك النهار الدائم المتواصل ، الذى يميِّزه عن كواكب أخرى عديدة ، فى الكون السرمدى الشاسع ، وعلى الرغم من هذا ، أحكم الأرغورانى (هونور) إغلاق نوافذ منزله كعادته ، وأشعل مصباحًا ضوئيًا ، وهو يغمغم فى حنق :

ـ اللعنة !.. لم يعد المرء يمتلك حتى حق الاستمتاع بضوء الشمس ، فى ظل هذا الاحتلال البغيض .

أجابه زميله (ديجنتى) فى رصانة :

ـ إنها فترة مؤقتة .

تمتم (هونور) ، وهو يعلِّق مصباحه على الجدار :

ـ أتعشَّم هذا .

ثم التفت إلى (ديجنتى) ، وتطلَّع إليه طويلًا فى صمت ، بنظرة جعلته أكثر شبهًا بالثعابين ، قبل أن يقول فى صرامة :

- قل لى يا (ديجنتى) : لماذا تزايدت زياراتك لى ، فى الآونة الأخيرة ؟

صمت (ديجنتى) لحظات ، ثم قال :

- أحتاج إلى من أتحدث إليه .

قال (هونور) فى سرعة :

- أو إلى من تحيطه بشكوكك .

لم يجب (ديجنتى) مباشرة ، ولم يحاول الاعتراض على قول (هونور) ، أو استنكاره ، وإنما بقى صامتا لحظة ، قبل أن يقول فى رصانة :

- أنا لا أزورك وحدك يا (هونور) .. لقد زرت الجميع تقريبا ، وعندما أغادر منزلك ، سأذهب لزيارة (نوفسا) .

سأله (هونور) :

- ولماذا ؟

بدا التوتر على وجه (ديجنتى) ، قبل أن يندفع قائلا :

- أنت تعلم أن الأمر بالغ الخطورة .. إننا ننتظر قدوم المنقذ (نور) ، الذى غادر (سيتا - ٣) بالفعل ، وينطلق على متن السفينة الإمبراطورية (أرغوريا) ، فى طريقه إلى هنا ، والشعب الأرغورانى ينتظر وصوله بفارغ الصبر ؛ ليبدأ ثورته وانفجاره ، فى وجه طغاة (جلوريال) ، الذين يحتلون كوكبنا ، ويجثمون على صدورنا منذ سنوات ، وفى الوقت نفسه ، يبذل قائد فرسان الاحتلال (آجور) أقصى طاقته ؛ لمنع وصول المنقذ ، وتدميره فى الفضاء ، لإخماد الثورة قبل اندلاعها .. وفى ظل كل هذا يفاجئنا القائد بوجود جاسوس فى مجلسنا السُباعى .. ألا يقلقك هذا ؟

بدا الغضب على وجه (هونور) ، وهو يقول :

- وأنت تشك فى أننى ذلك الجاسوس .. أليس كذلك ؟

أشاح (ديجنتى) بوجهه ، وقال :

- أنا أشك فى الجميع بلا استثناء ، فكل ما يعنينى الآن هو أن يصل الرائد (نور) إلى (أرغوران) ، مهما كان الثمن .

كان يتوقع اندفاعة غاضبة من (هونور) ، ولكن العجيب أن هذا الأخير لاذ بالصمت التام ، وشرد ببصره على نحو غريب ، وعقله يسبح بعيدًا ..

بعيدًا للغاية ..

كان يحاول أن يخترق بذهنه عالم الغيب ، ليجيب عن السؤال الذى يشتعل كالنيران فى صدره ، منذ فترة طويلة ..

ما مصير (نور) ، فى هذه اللحظة ؟..

ما الذى يفعله ؟

وماذا يواجهه ؟

والعجيب أن (هونور) كان يشعر بقلق مبهم ، على الرغم من أنه لم يكن يعلم شيئًا عما يواجهه (نور) ورفاقه ، منذ غادروا كوكب الأرض ، على متن السفينة الإمبراطورية (أرغوريا) ..

فى البداية ، كان كل شىء يسير على ما يرام ، وانطلقت (أرغوريا) فى مسارها المعد مسبقًا ، وفقًا لبرنامج آلى ، وراح رفاق (نور) يتعلمون اللغتين : الأرغورانية ، والجلوريالية ، والمركبة تعبر دروبًا فضائية خاصة ، تختصر عشرات السنوات الضوئية ، فى قفزات متعاقبة ، عبر (كوازرات) ، أو ثقوب سوداء ..

ولكن فجأة ، ظهر انخفاض ملحوظ فى نسبة الأكسجين داخل السفينة ، وبدا من الواضح أن شيئًا ما يستهلك مزيدًا من الأكسجين ، مما استدعى إجراء فحص شامل ، و ...

وظهر (أكرم) و (مشيرة) ..

كانا قد تسللا إلى السفينة خلسة ، مما تسبب فى حدوث خلل فى نسبة استهلاك الأكسجين ، قد يؤدى إلى فشل الرحلة كلها ..

واقترح (أكرم) أن يغادر السفينة مع (مشيرة) ، ليواجها مصيرهما فى الفضاء الخارجى ، ولكن (نور) رفض الفكرة تمامًا ، وراح يبحث مع كمبيوتر السفينة ،

الذى يحمل صورة وصوت المقاتل الأرغورانى (بودون) ، عن وسيلة لاختصار زمن الرحلة ، بحيث يكفى الأكسجين الفريق كله ، حتى نهاية الرحلة ..

ولم يكن هناك سوى سبيل واحد ..

طريق (ميروريا) ..

ولقد كان هناك كوكب عظيم ، فى هذا الدرب ، ولكن طغاة (جلوريال) نسفوه عن آخره ، ولم تتبق منه سوى ملايين النيازك ، التى تسبح فى الفضاء ، وتعوق الملاحة بصورة شبه تامة ..

وقرر (نور) مواجهة طريق (ميروريا) ..

وفى الوقت ذاته ، كان إمبراطور جلوريال (سيليا) وحكيم القصر (أوراكس) ، قد اتفقا مع قائد الفرسان (آجور) ، على اعتراض سبيل السفينة (أرغوريا) ، ومنعها من بلوغ (أرغوران) ، مهما كان الثمن ..

وانطلقت السفن الإمبراطورية لمراقبة وحراسة كل الدروب الفضائية ، المؤدية إلى (أرغوران) ، وخاصة طريقى (ستيرتا) و (ميروريا) ..

وفى طريق (ميروريا) ، انطلق (نور) و (رمزى) و (محمود) بمقاتلات فضائية صغيرة ، لنسف النيازك التى تعترض (أرغوريا) ، وشق طريقها بالقوة ، عبر بحر النيازك الرهيب ..

وفجأة ، اعترض طريق (أكرم) نيزك ضخم ، فانحرف بسرعة ، واعترض بدوره طريق مقاتلة (نور) ، الذى حاول تفادى الموقف ، والسيطرة على مقاتلته ، ولكنها مالت فى عنف ، وانقضت على كويكب صغير ، و ...

واندلع فى الفضاء انفجار هائل صامت ، و ...

ورهيب .. (★)

* * *

لثوان ، تصوَّر الجميع ، بما فيهم (نور) ، أن مقاتلته قد اصطدمت بالكويكب الصغير ، فانفجرت معه فى عنف ..

ثم انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يحدِّق فى ما أمامه ..

لقد انفجر الكويكب تمامًا ، وتناثرت صخوره فى مساحة شاسعة ، ولم يعد هناك ما يعترض طريق (نور) ومقاتلته ، فهتف :

ـ ماذا حدث بالضبط ؟

أتاه صوت (محمود) ، من قلب (أرغوريا) ، وهو يهتف فى انفعال :

ـ إنها السفينة يا (نور) .. لقد أطلقت بغتة حزمة من

(★) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الأول (لهيب الكواكب) .. المغامرة رقم ٩٧

أشعة رهيبة ، نسفت الكويكب ، الذى اعترض طريقك تمامًا .

وامتزج الجزء الأخير من عبارته بصوت (أكرم) ، وهو يقول :

ـ بالطبع .. كان ينبغى أن أتوقَّع هذا .. برنامج السفينة ليس معدًا للدفاع عن وجودها فحسب ، وإنما للدفاع عن المنقذ المنتظر أيضًا .. إنها تسمح لك بالقتال يا (نور) ، ولكنها تراقبك فى دقة وإحكام ، وتتدخَّل دائمًا فى اللحظة المناسبة ؛ لإنقاذك من أى خطر تواجهه .

تفجَّرت الدموع من عينى (سلوى) ، وهى تستمع إلى هذا الحديث ، فى حين استرخى (محمود) فى مقعد قيادة (أرغوريا) ، بعد انفعال رهيب ، وانكمشت (نشوى) فى مقعدها ، لتخفى دموعها ، وغمغمت (مشيرة) :

ـ يا له من موقف !.. سأحتاج إلى جهد هائل ؛ لأرفع قلبى مرة ثانية ، إلى موضعه الطبيعى .

وفى توتر ملحوظ ، قال (رمزى) ، وهو يطلق أشعة مقاتلته نحو نيزك آخر ، ويزيحه عن طريقه :

ـ كان موقفًا رهيبًا بحق .

أجابه (نور) فى حماس :

ـ ولكنه كشف لنا حقيقة رائعة ، ستفيدنا حتمًا فى

خطتنا ؛ فالسفينة تعمل على حمايتي ، وهذا يمنحنى مزية إضافية .. سأختار أكثر النقاط صعوبة وخطورة ، وعليك أن تتبعني أنت و (أكرم) ، وسنشق طريقنا بإذن الله .

هتف أكرم :

ـ سمعًا وطاعة يا قائدى .

ومرة أخرى ، عادت المقاتلات الثلاث تشقّ طريقها ، وسط نيازك وصخور وكويكبات طريق (ميروريا) الرهيب ..

وتبعًا لخطة (نور) ، اشتركت (أرغوريا) فى القتال ، على الرغم منها ، وراحت تشق الطريق بدورها ، ولكن القلق ارتسم على صورة (بودون) ، المسجّلة فى الكمبيوتر ، وخرج صوته يقول :

ـ المركبة تفقد قدرًا كبيرًا من الطاقة ، وهناك خوف من أن تبلغ (أرغوران) ، وقد نفد نصف مخزونها الرئيسى .

سأله (محمود) :

ـ هل تحتاج تلك الأشعة إلى طاقة كبيرة ؟

أجابه الكمبيوتر :

ـ بل طاقة هائلة ، تفوق ما يمكنك تخيّله ، ثم إننا نفقد جزءًا آخر من الطاقة ؛ للمحافظة على الدرع الكهرومغنطيسى ، المحيط بالسفينة ، والذى يصدّ كل ما يصطدم بها من صخور ونيازك صغيرة .

سألته (سلوى) فى قلق :

ـ وما الضرر من هذا ؟.. ألا يمكننا شحن السفينة بالطاقة ، فور وصولنا إلى (أرغوران) ؟

أجاب (بودون) :

ـ أخشى أن هذا لم يعد ممكنًا .

شحب وجه (نشوى) ، وهى تهتف :

ـ لماذا ؟

أجاب الكمبيوتر فى آلية تامة :

ـ لأنه لم تعد هناك محطات شحن فضائية ، ولا بطاريات شمسية فائقة القوة ، بعد أن احتل طغاة (جلوريال) كوكبنا ، فهم يعمدون فور استقرارهم ، إلى تدمير كل وسائل التكنولوجيا المتطوّرة .

غمغمت (مشيرة) :

ـ كما فعلوا فى الأرض .

لم يسمع (محمود) عبارتها ، وهو يسأل الكمبيوتر فى لهفة :

ـ وما الذى يعنيه فقدان الطاقة بالتحديد ؟

أجاب الكمبيوتر على الفور :

ـ المفروض أن تكفى الطاقة رحلتى الذهاب والعودة ، مع استخدام محدود لأسلحة السفينة ، وهذه الأسلحة ليست

خالدة أو لا نهائية .. إنها معدّة فقط للتصدّى لمحاولات منع السفينة ، من بلوغ (أرغوران) ، وعندما تنقص الطاقة إلى حد كبير ، قد لا يكفى المتبقى منها لرحلة العودة .

سرت قشعريرة فى جسد (سلوى) ، وحدّقت (مشيرة) فى شاشة الكمبيوتر ، فى حين غمغمت (نشوى) مرتجفة :

- إذن فالطاقة تشق لنا طريق الذهاب إلى (أرغوران) ، ولكنها تنتزع منا فرصتنا فى العودة إلى الأرض .

اعتدل (محمود) ، وهو يقول فى حزم :

- أو أنها تضع أمامنا سبيلًا واحدًا ، للعودة إلى الأرض .

والتفت إليهم ، مستطردًا :

- أن نقاتل بكل قوتنا .. وأن ..

واكتسى صوته برنة صارمة حازمة ، مع إضافته :

- وأنه لا بديل للنصر .

قالها ، فران على المكان صمت رهيب ..

صمت مشوب بالكثير من القلق ..

ومن الخوف ..

* * *

بدا (آجور) ، قائد فرسان الإمبراطور الجلوريالى ، أشبه بتمثال من الحجر ، وهو ساكن صامت فى حجرته ، يراقب فى تمعن شديد لوحة هائلة ، تحمل خريطة كونية مجسّمة ، وفى بطء شديد ، راحت عيناه تجوبان اللوحة ، وهو يدرس المسارات الأربعة ، التى تختصر المسافة إلى (أرغوران) : (سينو) ، و (جلاتا) ، و (ستيرنا) ، و (ميروريا) ..

وتوقفت عيناه طويلًا ، عند طريق (ميروريا) ..

كانت الخريطة الضخمة تشير فى وضوح ، إلى ملايين النيازك والكويكبات ، التى تسبح فى طريق (ميروريا) ، وعلى الرغم من هذا ، كان (آجور) يشعر أن عبوره ليس مستحيلًا ..

ربما كان شاقًا وعسيرًا ..

ولكنه ليس مستحيلًا ..

وراح سؤال مخيف يتردّد فى عقله ..

ماذا لو اختار المنقذ ، القادم من (سيتا - ٣) ، طريق (ميروريا) ؟!

ماذا لو جازف بعبوره ، على الرغم من كل مخاطره ومصاعبه ؟!

درس الاحتمال فى ذهنه للمرة الألف ، ثم هزّ رأسه فى عنف ، وكأنما يطرد الفكرة منها ، وغمغم :

- كلا .. مستحيل !.. ربما كان (نور) هذا انتحاريًا شجاعًا ، ولكنه ليس مجنونًا ، وكل دراسات الكمبيوتر

تؤكد استحالة عبور (ميروريا) ، ومن المؤكد أن كمبيوتر (أرغوريا) سيعطي النتيجة نفسها .

كان يرتجف لمجرد التفكير فى أنه قد يخطئ الاستنتاج ؛ فهو ، وإن كان لا يعلم بالضبط قوة تسليح (أرغوريا) ، يدرك أن لديها من الأسلحة ، ما يكفى للتصدى للمقاتلات الخمس عشرة ، التى أرسلها لرصد وإغلاق طريق (ميروريا) ..

ولقد راهن بأوراقه كلها ، على أن (أرغوريا) ستتخذ طريق (ستيرنا) ..

وهو ليس مستعدًا للخسارة ..

فالخسارة لن تعنى مجرد نجاح (أرغوريا) فى الإفلات من مقاتلاته ، ووصولها إلى مجال (أرغوران) فحسب ..

بل ستعني أن يصل المنقذ إلى (أرغوران) ..

وأن تتفجر الثورة الشاملة ..

إنه يعلم جيدًا ، بحكم خبراته ودراساته ، أن قوات الاحتلال كلها لن تكفى ، لو أن شعب (أرغوران) كله قرر القيام بثورة شاملة ..

ربما تنجح قواته النظامية فى سحق ثلاثة أو أربعة ملايين أرغوراني ، ولكنها لن تبيد الشعب كله حتمًا ..

وهذا ما يخشاه ..

والعجيب أنه أبلغ الإمبراطور بهذا ، وصارحه بمخاوفه ، ولكن الإمبراطور ابتسم فى استهتار ، والتفت إلى حكيم القصر (أوراكس) ، وهو يقول :

- فى هذه الحالة يكون شعب (أرغوران) قد قادنا إلى الحل النهائى الحاسم .

ثم اعتدل ، وأضاف فى شراسة عجيبة :

- سندفعه للحاق بكوكب (مير) .

وهكذا أعلن الإمبراطور نواياه بكل وضوح ..

إنه لن يسمح أبدًا بانتصار (أرغوران) ..

لن يسمح بوقوع هزيمة أخرى ، بعد ما حدث على الأرض ..

إنه سيقاتل الأرغورانيين فى معركة حاسمة ، فإما أن ينتصر فيها (جلوريال) ، أو يمحو كوكب (أرغوران) من خريطة الكون .

ولم يكن من السهل على محارب قدير مثل (آجور) ، أن يستوعب مثل هذا القرار الوحشى ..

ولكنه سيطيع الإمبراطور (سيلبا) ..

وحتى آخر رمق ..

، سيدى القائد ... ، .

قطع هذا القول تسلسل أفكار (آجور) ، وبعث شيئًا من

الحياة فى أطرافه ، وهو يستدير فى بطء لمواجهة أحد ضباطه ، ويتطلّع إليه فى تساؤل ، فاستطرد الضابط فى حسم :

- نقاط المراقبة رصدت بعض الانفجارات ، فى طريق (ميروريا) .

بدا الاهتمام على (آجور) ، وهو يسأله :

- أى نوع من الانفجارات ؟

أجابه الضابط :

- تفجيرات صناعية يا سيّدى القائد .. عشرات النيازك والكويكبات انفجرت ، وأرسلت نبضات عالية إلى مراكز الرصد ، دون سبب معروف .

قال (آجور) فى انفعال :

- أو ربما هو سبب منطقى للغاية ..

واستدار بسرعة يراجع الخريطة الكونية ، وعقله يصرخ فى أعماقه ملتاعًا ..

إذن فقد فعلها (نور) !.

لقد جازف بعبور طريق (ميروريا) ..

إنه ورفاقه ينسفون كل ما يعترض طريقهم ، من نيازك وكويكبات ، لتجتاز (أرغوريا) الطريق الوعر ..

وفى قلق ، قطع الضابط تسلسل أفكاره مرة ثانية ، قائلًا :

- بم تأمرنا يا سيّدى ؟

بقى (آجور) صامتًا لحظات ، يراقب الخريطة ، ثم التفت إلى الضابط فى حزم ، وقال :

- مر كل المقاتلات بالانطلاق إلى مخرج (ميروريا) .

سأله الضابط فى حذر :

- كلها يا سيّدى ؟!

أجابه بسرعة :

- نعم .. كلّها .. لقد أدركنا الآن أى طريق يتخذه المنقذ .. إنه يعبر (ميروريا) ، ولم تعد هناك ضرورة لوجود فرق مراقبة عند الطرق الأخرى .. هيا .. أرسل الأوامر على الفور ، فمن الضرورى أن تصل مقاتلاتنا فى الوقت المناسب ؛ لإجهاض الثورة فى مهدها ، والتخلّص من المنقذ الأسطورى .

وعاد يلتفت إلى الخريطة ، مضيفًا :

- التخلّص منه إلى الأبد .

وبرقت عيناه فى وحشية ظافرة .

* * *

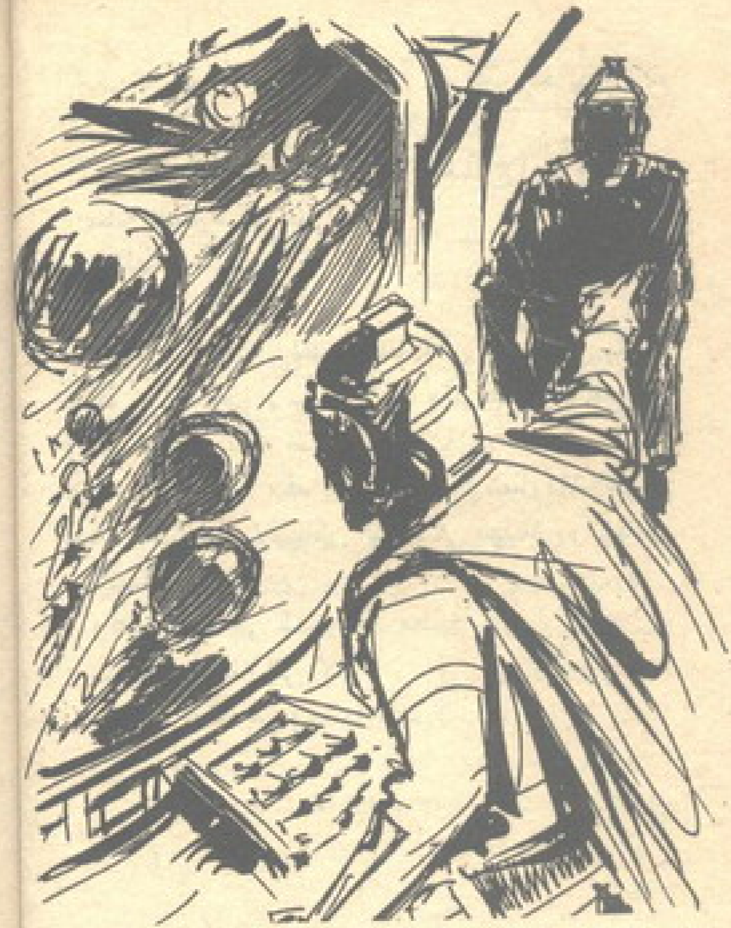

بقى (آجور) صامتًا لحظات ، يراقب الخريطة ، ثم التفت إلى الضابط فى حزم ، وقال : ــ مر كل المقاتلات بالانطلاق ..

٢ ـ الهبوط ..

مرّت الساعات الست كدهر كامل ، و (أرغوريا) تعبر طريق (ميروريا) ، وأمامها المقاتلات الثلاث ، تشق طريقها عبر أنهار النيازك والكويكبات ، فى براعة منقطعة النظير ..

وأخيرًا ، لاح فضاء صاف ساكن ، تلتمع فيه ملايين النجوم ، فأطلق (أكرم) زفرة حارة ، من أعمق أعماق قلبه ، قبل أن يهتف ظافرًا :

ـ نجحنا يا (نور) .. نجحنا أيها القائد الفذ .. لقد عبرنا طريق الموت ، دون أن نخسر مقاتلة واحدة .. حققنا المستحيل يا رجل .. حتى الكمبيوتر لم يتوقّع هذا .

أجابه (نور) فى ارتياح :

ـ الكمبيوتر لم يُدخل فى حساباته تدخل السفينة لصالحى .

قال (رمزى) فى سعادة :

ـ المهم أننا نجحنا يا (نور) .. عبرنا طريق (ميروريا) ، وادخرنا الوقت اللازم ، ليكفينا مخزون الأكسجين ، حتى نصل إلى (أرغوران) .

قال (نور) بابتسامة كبيرة :

- هذا صحيح .. لقد تجاوزنا الأزمة يا رفاق ، ويمكننا أن ..

قاطعه فجأة صوت (محمود) ، عبر جهاز الاتصال ، وهو يقول فى قلق :

- هناك أجسام صغيرة تقترب ، من اتجاه اليسار .

استدار (نور) و (رمزى) و (أكرم) ، إلى حيث أشار (محمود) ، ثم انعقدت حواجبهم فى توتر مباغت ..

وفى وضوح ، بدت لهم المقاتلات الجلوريالية ، وهى تندفع نحوهم ، فهتف (رمزى) :

- رباه !.. لقد استعدوا لقدومنا .

وصاحت (سلوى) من السفينة :

- عد بسرعة يا (نور) .. عودوا جميعًا .

هتف (أكرم) فى توتر :

- لست أظن هذا ممكنًا ، فتلك المقاتلات اللعينة تقترب بسرعة مخيفة ، وليس أمامنا سوى حل واحد .

وضغط أزرار مقاتلته فى حزم ، وهو يستطرد :

- أن نقاتل .

صاح (محمود) من السفينة :

- إنها مخاطرة رهيبة يا (أكرم) .. أنتم تواجهون

خمس عشرة مقاتلة ، ولا ريب أن طياريها من أبرع المقاتلين الفضائيين ..

هتف (أكرم) :

- لا فائدة يا (محمود) .. إنها ستلحق بنا حتمًا ، قبل أن نبلغ السفينة ، ولو كان قدرى أن ألقى حتفى بشعاع فضائى ، على بعد ملايين السنوات الضوئية من الأرض ، فأنا أفضل أن أتلقى الطلقة القاتلة فى صدرى ، وليس فى ظهرى .

قالها واندفع فى بسالة نحو المقاتلات الجلوريالية ، فهتف (نور) :

- إنه على حق يا (رمزى) .. هيا .. سنواجه الخطر بصدور عارية ..

وكان لتلك المبادرة الشجاعة أكبر الأثر ، فى مواجهة المقاتلات الجلوريالية .

لقد أطلق أبطالنا الثلاثة أشعة مقاتلاتهم ، وأصابوا ثلاث مقاتلات جلوريالية فى الكرّة الأولى ، قبل أن يفيق المقاتلون الآخرون من صدمة المبادرة المباغتة ، وفى اللحظة التالية ، انخفض الثلاثة بمقاتلاتهم ، لتفادى أشعة المقاتلات المعادية ، التى تجاوزتهم ، وأصابت الجدار الواقى للسفينة (أرغوريا) ..

وهنا تدخلت (أرغوريا) ، واشتركت فى القتال ، وأطلقت أشعتها القوية ، لتسحق أربع مقاتلات (جلوريالية) دفعة واحدة ..

وتراجعت مقاتلات (جلوريال) ؛ لتعد خطة هجوم ثانية ، فى نفس اللحظة التى ومض فيها مصباح أحمر ، فى جهاز كمبيوتر القيادة ، فى (أرغوريا) ، وراحت صورة (بودون) تردّد :

- نقص الطاقة بلغ مرحلة الخطر .. تحذير .. هناك نقص مقلق فى الطاقة .

وهنا هتف (محمود) ، عبر أجهزة الاتصال :

- (نور) .. أصبحت عودتكم حتمية ، فالسفينة تفقد الكثير من الطاقة ، وبسرعة مخيفة .

فجّرت الرسالة قلقًا عارمًا ، فى أعماق (نور) ، فقال لرفيقيه بسرعة :

- (رمزى) .. (أكرم) .. سنضطر للعودة إلى (أرغوريا) .. استغلا تراجع الجلورياليين التكتيكى ، ولنعد بسرعة إلى (أرغوريا) .

هتف (أكرم) معترضًا :

- لماذا ؟.. إننا نقاتل جيدًا .

صاح به (نور) فى صرامة :

- لا تجادلنى .. سنعود فورًا إلى (أرغوريا) .

استدارت المقاتلات الثلاث ، وانطلقت بأقصى سرعة نحو (أرغوريا) ، فى نفس اللحظة التى انقسمت فيها المقاتلات الثمان ، المتبقية من مقاتلات (جلوريال) ، واستعدت للانقضاض مرة ثانية على (أرغوريا) ، التى اضطرت للتخلى لحظات عن درعها الكهرومغنطيسى ؛ لتسمح للمقاتلات الثلاث بدخولها ..

ولكن فجأة ، انطلقت أسلحة مقاتلات (جلوريال) ، وارتطمت بعض حزم الأشعة بجسم (أرغوريا) ، فى حين مسّت حزمة أخرى جناح مقاتلة (رمزى) ، الذى هتف :

- رباه !.. إنهم يهاجموننا .

صاح به (نور) :

- حاول أن تبلغ (أرغوريا) بأقصى سرعة .

ومع آخر حروف كلماته ، كان قد عبر مع (أكرم) مدخل (أرغوريا) ، واستعدا للهبوط داخلها ، فى حين ترنحت مقاتلة (رمزى) لحظة ، فهتف به (نور) :

- سيطر على مقاتلتك ، وادخل (أرغوريا) يا (رمزى).

هتف (رمزى) :

- إننى أحاول يا (نور) ، سأميل يمينًا ، و ...

ولم يكتمل هتافه ..

لقد هوت حزمة أشعة أخرى على جناح المقاتلة ، فقسمته إلى قسمين ، واختلّ توازن المقاتلة تمامًا ، فانحرفت بزاوية حَادة عن المدخل ، وابتعدت عن (أرغوريا) ، فهتف (نور) :

ـ لا .. عد يا (رمزى) .

وهم بالانطلاق بمقاتلته مرة أخرى ، فى محاولة لإنقاذ (رمزى) ، ولكن الدرع الكهرومغنطيسى عاد إلى موضعه بغتة ، مع صوت الكمبيوتر ، وهو يقول :

ـ لا يمكن التخلى عن الدرع الواقى لفترة أطول .

صرخ (نور) :

ـ لا .. ما زال (رمزى) هناك .. توقّف لاستعادته .

ولكن الكمبيوتر لم يستجب قط هذه المرة ..

كان عليه أن ينفذ البرنامج الأساسى ، الذى تمت تغذيته به ..

أن يحافظ على السفينة كلها ..

وأن يُبقى على حياة المنقذ ما أمكن ، حتى يبلغ (أرغوران) حيًا ..

وفى بطء ، راح الكمبيوتر يغلق المدخل ، وقلب (نور) يخفق فى ارتياع ، وعيناه تتابعان مقاتلة

(رمزى) ، التى فقدت اتزانها تمامًا ، وراحت تسبح فى الفضاء بحركة دائرية ، وهى تبتعد ..

وتبتعد ..

وتبتعد ..

وهتف (أكرم) فى هلع :

ـ هل سنتركه يذهب هكذا ؟

ولم يستطع (نور) إجابته ..

تلك الغصة فى حلقه منعته من النطق ، والدموع المترقرقة فى عينيه جعلت المشهد يبدو له غائمًا مهتزًا ، ومقاتلة (رمزى) تغيب فى الفضاء المظلم اللانهائى ، الذى ابتلعها ، وأطبق عليها ظلماته تمامًا ..

وبلا رحمة ..

* * *

« (رمزى) ؟!.. مستحيل !.. »

اقترنت تلك الصرخة الملتاعة ، التى أطلقتها (نشوى) ، بارتجاج (أرغوريا) ، إثر هجوم آخر من مقاتلات (جلوريال) ، وأطلقت السفينة حزمة من الأشعة ، سحقت مقاتلة جلوريالية أخرى ، وانبعث صوت الكمبيوتر يقول :

- الطاقة تنفد أكثر وأكثر ، والدرع الواقى لن يصمد طويلا ، كما أن التشكيل المقاتل يعتمد هذه المرة على التقسيم الفردى ، فكل مقاتلة تهاجم وحدها ، من مكان منفصل .

راحت (نشوى) تبكى فى حرارة ، وأحاطت (سلوى) كتفيها ، فى محاولة لتهدئتها ، وهى تشاركها دموعها ، فى حين انكمشت (مشيرة) فى أحد الأركان ذاهلة مصعوقة ، وغمغم (محمود) فى مرارة :

- الوداع يا (رمزى) .. الوداع يا أعز الأصدقاء .

أما (نور) ، فقد كتم مشاعره فى أعماقه ، وترك قلبه يبكى بدموع من دم ، على ما أصاب رفيقه ، وهو يدرس الموقف مع كمبيوتر السفينة ، ولكن مرارته بدت واضحة فى نبرات صوته ، وهو يقول :

- ألا يمكننا مهاجمة المقاتلات الخمس المتبقية ، والانطلاق نحو (أرغوران) مباشرة ؟

أجابه الكمبيوتر :

- المقاتلات تهاجم من خمس نقاط مختلفة ، والطاقة لدينا لا تكفى لنسفها كلها ، والدرع الواقى يستهلك جانبًا ضخمًا من مخزون الطاقة .

صمت (نور) لحظات مفكرًا ، فقال (أكرم) فى توتر:

- ما الذى يعنيه هذا ؟.. هل اجتزنا طريق الموت بنجاح ، لنسقط بين براثن مقاتلات العدو ؟.. ألا يكفى أننا فقدنا (رمزى) ؟!

أشار إليه (نور) أن يصمت ، واستغرق لحظة أخرى فى تفكيره العميق ، قبل أن يسأل الكمبيوتر :

- هل يمكنك دفع السفينة للدوران حول محورها بسرعة كبيرة ؟

قال (أكرم) فى دهشة :

- ما الذى تتوقعه من هذا ؟

ولكن (سلوى) أدارت عينيها إلى زوجها فى اهتمام ، فى حين هتف (محمود) فى حماس :

- آه .. فكرة مدهشة .

وقالت صورة (بودون) ، على شاشة الكمبيوتر :

- تم استيعاب الفكرة ، وسنبدأ التنفيذ فورًا .

وفى بطء ، بدأت السفينة تدور حول نفسها ، ثم تزايدت سرعتها تدريجيًا ، حتى أصبحت تدور حول محورها فى قوة ، فهتف (أكرم) مرة أخرى :

- ما الذى تتوقعه من هذا يا (نور) ؟

ظلّ (نور) يراقب شاشة الكمبيوتر ، دون أن يجيب عن السؤال ، فقال (محمود) :

- السفينة محاطة بدرع كهرومغنطيسى ، ودورانها حول نفسها يجعلها أشبه بكوكب صناعى ، ويخلق حولها مجال جذب هائل ، و ...

قبل أن يتم حديثه ، كانت شاشة الكمبيوتر والرصد تنقل ما حدث بمنتهى الدقة ، فقد انجذبت المقاتلات الجلوريالية الخمس إلى السفينة فى قوة ، وارتطمت بالدرع الكهرومغنطيسى فى عنف ، فانفجرت ، وتناثرت شظاياها فى الفضاء ، فصاح (أكرم) فى ظفر :

- فهمت .. أنت عبقرى يا (نور) .. أنت أعظم قائد عملت تحت إمرته فى حياتى كلها .

ولكن (نور) لم يبدُ سعيدًا بهذا المديح ..

بل لم يبد سعيدًا على الإطلاق ..

كان يدفن وجهه بين راحتيه ، ويعتصر الدموع فى مقلتيه اعتصارًا ، وجسده يرتجف فى انفعال ، دون أن يصدر منه أدنى صوت ..

كان يبدو أقرب إلى المهزوم ، منه إلى المنتصر ..

وفى حيرة شديدة ، قال (أكرم) :

- ماذا به ؟.. لقد نجحت فكرته .. أليس كذلك ؟

أجابه (محمود) فى خفوت :

- بلى ، ولكنه يكره القتل والتدمير .

تنهد (أكرم) ، وقال دون اقتناع :

- آه .. كدت أنسى هذا !

رفع (نور) عينيه إليه ، وقال فى مرارة :

- ما الذى تتوقعه منى ، بعد أن أبدنا خمس عشرة مقاتلة ، وفقدنا (رمزى) ؟!

ازدرد (أكرم) لعابه ، قبل أن يقول فى صوت مبحوح :

- لست أتوقع شيئًا .

ثم شد قامته ، مستطردًا :

- فقط أن نواصل رحلتنا إلى (أرغوران) هذا .

اعتدل (نور) ، وسيطر على انفعالاته ، وهو يقول :

- وهذا ما سنفعله .

ورفع عينيه إلى كمبيوتر السفينة ، مستطردًا :

- هيا .. سنتخذ الطريق إلى (أرغوران) .

قال الكمبيوتر :

- فليكن .. سنزيل الدرع الواقى ، ونخفض الإضاءة إلى الحد الأدنى ، فى محاولة لتوفير الطاقة ، ثم ننطلق بسرعة تزيد قليلًا عن سرعة الضوء (*) ، فى طريقنا إلى (أرغوران) .

(*) سرعة الضوء = ١٨٦٠٠٠ ميل / ثانية .

تمتم (نور) :

ـ ابدأ على بركة الله .

انخفضت الإضاءة بالفعل ، وزال الدرع الواقى المتألق ، من حول السفينة ، وبدا صوت نحيب (نشوى) وبكاؤها واضحا ، وسط الصمت التام ، الذى خيم على المكان ، فقال (نور) فى خفوت :

ـ اذهبى بها إلى حجرتها يا (سلوى) ، ودعيها تتناول عقارًا مهدئًا ، وتخلد إلى النوم بعض الوقت .. إنها تحتاج إلى هذا .

احتضنت (سلوى) ابنتها ، وقادتها بالفعل إلى حجرتها ، فى حين قال الكمبيوتر :

ـ بدأ العد التنازلى لمواصلة الرحلة بسرعة الضوء .. عشرة .. تسعة .. ثمانية .. سبعة ..

وفجأة ، قطع عده التنازلى ؛ ليقول :

ـ مقاتلات أخرى تقترب .. ثلاثون مقاتلة فى ستة تشكيلات جديدة .

توتر الجميع فى شدة ، وقال (نور) فى سرعة :

ـ هل يمكنك مواجهتها ؟..

أجابه الكمبيوتر على الفور :

ـ إعادة الدرع الواقى تستهلك كل الطاقة المتبقية ، وتهدد بعدم إكمال الرحلة إلى (أرغوران) .

شحب وجه (مشيرة) ، وهى تغمغم :

ـ يا إلهى !.. أيعنى هذا أننا ..

ولم تستطع إكمال عبارتها ، فعادت إلى الصمت الرهيب ، الذى ساد المركبة كلها ، والجميع يراقبون فى ذعر ذلك الجيش من مقاتلات العدو ، وهو يقترب ..

ويقترب ..

ويقترب ..

* * *

٣ ـ القائد المجهول ..

على الرغم من أن (ديجنتى) كان مستغرقًا فى نوم عميق ، إلا أنه لم تكد أذناه تلتقطان تلك الحركة الخافتة ، فى حجرة نومه ، حتى استيقظ عقله بغتة ، ودفع الدماء الحارة إلى عروقه الغزيرة ، فقفز من فراشه ، والتقط سلاحه من مكمنه ، وهو يقول لذلك الشخص ، الذى بدا واضحًا ، على الرغم من الضوء الخافت فى الحجرة :

ـ ما الذى تفعله هنا فى منـ ..

ولكنه بتر عبارته بغتة ، وتوقفت الكلمات فى حلقه ، وهو يحدق فى وجه ذلك الشخص ، الذى وقف فى اعتداد ، وقال فى هدوء :

ـ إنه أنا يا (ديجنتى) .

خفض (ديجنتى) سلاحه بسرعة ، وقال لقائده فى احترام بالغ :

ـ سيدى .. اغفر لى رفع سلاحى فى وجهك ، فلم أتوقع قدومك شخصيًا إلى منزلى ؛ فمن النادر جدًا أن تفعل .

بقى القائد المجهول فى دائرة الظل ، وهو يقول :

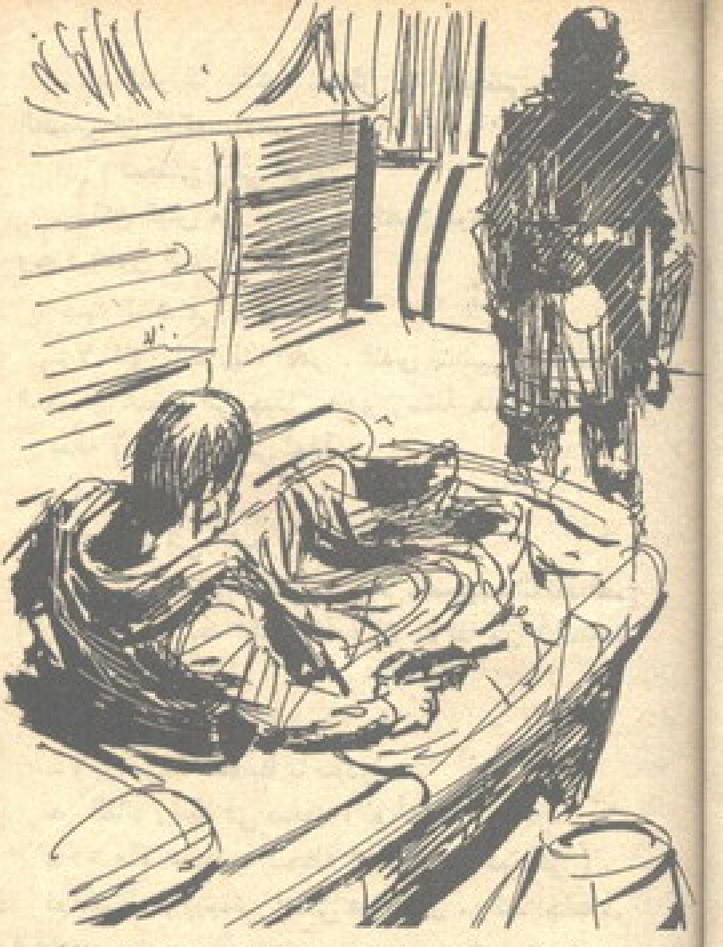

وهو يحدق فى وجه ذلك الشخص ، الذى وقف فى اعتداد ، وقال فى هدوء : ــ إنه أنا يا (ديجنتى) ..

- لقد اقتربت ساعة الصفر يا (ديجنتى) ، ومن الطبيعى أن تختلف الأمور .

قال (ديجنتى) فى قلق :

- ولكن أليس من الخطر أن تجوّل بوجهك هذا ، مع وجود عيون الحراسة ؟!

أجابه القائد فى هدوء :

- لا تقلق بالك بهذا الأمر ، فلدى أساليبى الخاصة .. المهم أن تستمع إلىّ جيدًا ، فلدى رسالة هامة لك .

سأله (ديجنتى) فى لهفة :

- ما هى ؟

مال القائد إلى الأمام ، وقال :

- لو سار كل شىء على ما يرام ، فسيهبط المنقذ على (أرغوران) ، بعد أيام قليلة ، ولا بد لنا من الاستعداد لاستقباله .

قال (ديجنتى) :

- وأين يهبط بالضبط يا سيّدى ؟

هزّ القائد رأسه فى صمت ، ثم أجاب :

- دع هذه المعلومة للحظة الأخيرة يا (ديجنتى) .

لم يعترض (ديجنتى) على هذا القول ، وإنما أجاب فى إذعان :

- فليكن يا سيّدى .. بم تأمرنى هذه المرة ؟

رفع القائد سبّابته ، وقال :

- أريد منك أن تجتمع بالمجلس السُّباعى .

هتف (ديجنتى) فى دهشة :

- ولكننا أوقفنا الاجتماعات ، بناءً على أوامرك يا سيّدى ، فلم نكشف أمر الجاسوس بعد .

قال القائد :

- لهذا أطالبك بالاجتماع بالمجلس مرة ثانية يا (ديجنتى) .

سأله (ديجنتى) فى حذر :

- ما الذى تسعى إليه بالضبط أيها القائد ؟

أجابه القائد :

- أسعى لكشف ذلك الخائن يا (ديجنتى) ، فقوات (جلوريال) كلها تنتظر وصول المنقذ ، لتفتك به ، وهذا يعنى أنه علينا أن نقوم بدور ضخم لحمايته ، حتى يبلغ المقر السرى للمقاومة الأرغورانية سالمًا ، ووجود جاسوس خفىّ وسط صفوفنا ، وفى المجلس السُّباعى بالذات ، يجعل كل خططنا مهدّدة بالفشل ؛ لذا فمن الضرورى أن نسعى لكشف أمر الجاسوس ، والقضاء عليه تمامًا ، قبل أن يصل المنقذ .

قال (ديجنتى) فى حيرة :

ـ وكيف يمكننا هذا أيها القائد ؟!.. إننى أبحث عن وسيلة مناسبة ، منذ أسبوع كامل ، دون أن أتوصل إلى نتيجة مقبولة ، حتى أننى زرت كل أعضاء المجلس السباعى ، وحاولت كشف الجاسوس ، ولكننى فشلت .

قال القائد ، بعد برهة من الصمت :

ـ عندى خطة لهذا ، ربما أفلحت فى كشف أمر الخائن ، وإلا ..

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى صرامة :

ـ وإلا كان مصير منقذنا هو الموت .. الموت المحتوم .

★ ★ ★

كل شىء كان ينذر بالفشل ..

طاقة (أرغوريا) غير كافية ، والمقاتلات الجلوريالية الثلاثون تقترب بسرعة ، والوقت يمضى بأسرع منها ، و ...

وهتف (أكرم) :

ـ هناك حل حتمًا .. لن ينتهى بنا الأمر على هذا النحو .. الله (سبحانه وتعالى) لن يرضى لنا هذا المصير قطّ .. إنه يعلم أننا على حق ، وأننا صورة العدالة فى خلقه .

اعتدل (نور) بغتة ، عندما نطق (أكرم) بهذه العبارة ، والتفت إليه بحركة حادة ، جعلت قلب (مشيرة) يخفق فى عنف ، و (محمود) يهبّ من مقعده ، هاتفًا :

ـ (نور) .. ماذا لديك ؟

لوّح (نور) بيده ، وهو يلتفت إلى الكمبيوتر ، قائلًا فى انفعال :

ـ هل يمكنك صنع صورة هولوجرافية للسفينة ، وجعلها ثابتة فى الفضاء ؟

أجابه الكمبيوتر :

ـ نعم .. يمكن إطلاق بعض المرايا العاكسة ، وجهاز بث هولوجرافى ، وتركها معلّقة فى الفضاء ، ونحصل على صورة هولوجرافية واضحة للسفينة .

قال (نور) فى لهفة :

ـ افعل هذا إذن ، وبأقصى سرعة ، وما إن تتكوّن الصورة الهولوجرافية ، حتى ننطلق نحن نحو (أرغوران) ، وبسرعتنا القصوى .

اتسعت عينا (أكرم) فى انبهار ، قبل أن يهتف :

ـ من أين تأتى بهذه الأفكار ؟

لم يجب (نور) ، وهو يواصل حديثه مع الكمبيوتر ، قائلًا :

- وابحث فى ذاكرتك عن صورة مجسّمة لانفجار ، واجعلها تحلّ محل صورة السفينة ، عندما يطلق الجلورياليون أشعتهم نحوها .

قال الكمبيوتر :

- سيبدأ التنفيذ على الفور .

ولم يكد ينطقها ، حتى انطلقت المرايا العاكسة فى الفضاء ، واتخذت مواقعها الثابتة ، مع جهاز البث الهولوجرافى ، فى حين أكمل الكمبيوتر العد التنازلى ، للانطلاق بسرعة الضوء ..

وأمام أعين (نور) ورفاقه ، تكوّنت صورة مجسمة للسفينة فى الفراغ ، فى نفس اللحظة التى انطلقت فيها السفينة الأصلية ، بسرعة تفوق سرعة الضوء ، فبدت أشبه بخيط من الضوء ، يشق طريقه بين النجوم ..

ولم تنتبه مقاتلات (جلوريال) إلى الخدعة المتقنة ، وتصوّر قائدها أنه نجح فى الإيقاع بـ (أرغوريا) ، فهتف عبر جهاز الاتصال الداخلى :

- ها هى ذى السفينة الإمبراطورية اللعينة .. سننقضّ عليها من الشمال ، والجنوب ، والشرق ، والغرب ، وأعلى ، وأسفل فى آن واحد ، فى ستة تشكيلات مقاتلة .

وانقضت المقاتلات كلها على الصورة الهولوجرافية ،

وغمرتها بأشعتها القاتلة ، ولكن الأشعة عبرتها ، وراحت ترتطم بالمقاتلات على الجوانب المقابلة ، فهتف القائد :

- (أرغوريا) تقاتل فى شراسة ، أطلقوا كل أسلحتكم .

ولكن فجأة ، وبعد أن خسر الجلورياليون ست مقاتلات ، دون أن يدركوا أنهم كان يصيب بعضهم البعض ، تلاشت الصورة الهولوجرافية للسفينة (أرغوريا) ، وحلّت محلّها صورة الانفجار العنيف ، فصاح المقاتلون :

- انتصرنا .. نسفنا (أرغوريا) .

كانت فرحتهم غامرة ، ولكن قائدهم كان يشعر بمزيج من القلق والحيرة ، فعلى الرغم من أن الانفجار بدا شديد العنف ، إلا أن أجهزة مقاتلته لم تسجّل تطاير شظية واحدة حوله ..

وعلى الرغم من الانتصار ، الذى سجّلته أجهزة الرصد ، فى كل المقاتلات الناجية ، إلا أن قائد المقاتلات الجلوريالية كان يشعر بأنه ضحية خدعة كبيرة ..

كبيرة للغاية ..

* * *

مطّ (هونور) شفتيه فى ضجر ، وهو يجلس فى حجرة الاجتماعات ، الخاصة بمجلس المقاومة السُباعى ، وتراخى جفناه فى استهتار ، و (ديجنتى) يبدأ الاجتماع ، قائلاً فى جدية :

ـ من المؤكد أنكم تتساءلون جميعًا عن سر هذا الاجتماع المفاجئ ، بعد أن قرّرنا عدم الاجتماع لفترة طويلة .

سرت بينهم همهمة تساؤل ، فتابع بسرعة :

ـ ولكننا اجتمعنا بسبب ورود معلومات جديدة .

كانت عبارته كافية ليسود الهدوء مرة ثانية ، وتطلّع إليه الجميع فى اهتمام ، وهو يضيف :

ـ معلومات بالغة السرية .

ثم أدار عينيه فى وجوههم ، مستطردًا :

ـ والخطورة .

كان يأمل أن يلمح شيئًا ما فى وجوههم ، يرشده إلى الخائن بينهم ، ولكن (هونور) ظلّ على تراخيه ولامبالاته ، و (نوفسا) تبادلت نظرة اهتمام مع (ترات) ، فى حين تطلّعت إليه (ريستا) فى لهفة ، شاركها إياها (آرون) و (كالوا) ، وصمت الجميع تمامًا ، وكأنهم ينتظرون ما سيقوله ، فالتقط نفسًا عميقًا ، وقال :

ـ لقد وصل المنقذ .

انتزع القول (هونور) من تراخيه ، ففتح عينيه عن آخرهما ، وحدّق فى وجه (ديجنتى) ، وشهقت (ريستا) فى انفعال ، وتوتر (ترات) و (آرون) على مقعديهما ، فى حين أطلق (كالوا) زفرة قوية ، وهتفت (نوفسا) :

ـ أخيرًا .

قال (ديجنتى) بسرعة ، قبل أن يبدأ أحدهم حديثًا ، أو يُبدى تساؤلًا :

ـ إنه لم يهبط على سطح كوكبنا بعد ، ولكنه وصل إلى مدارنا .

بدت خيبة الأمل على وجوه بعضهم ، وتراجع البعض الآخر فى ضيق ، وقال (هونور) فى حدة :

ـ وما الذى ينتظره للهبوط ؟

أجاب (ديجنتى) :

ـ إنه ينتظر اللحظة المناسبة ، للهبوط فى البقعة السرية ، التى تم تحديدها بدقة بالغة .

سألته (نوفسا) فى لهفة :

ـ وما هذه البقعة ؟

ساد الصمت لحظة ، بعد أن ألقت سؤالها ، وتركّزت عيون الجميع على وجه (ديجنتى) ، فى انتظار الجواب ، ولكنه قال فى هدوء :

ـ ليس مصرّحًا لى بأن أدلى بالموقع .

همهم الجميع فى غضب ، وصاح (ترات) :

ـ المفروض أن تسود الثقة بيننا .

أجابه (ديجنتى) فى حزم :

ـ هذا الأمر يدخل فى دائرة السرية المطلقة ، وأوامر القائد صريحة فى هذا الشأن ، ولا يمكننى أن ..

قاطعته (نوفسا) فى عصبية :

ـ أى قائد ؟!.. إننا نجهل جميعًا من هو قائدنا .

وهتف (كالوا) :

ـ هذا صحيح .. من أدرانا أنك لست القائد يا (ديجنتى)، وأنك اخترعت ذلك القائد الوهمى ؛ لتضفى الغموض والرهبة على الموقف .

قالت (ريستا) :

ـ مستحيل !.. مستحيل أن يفعل (ديجنتى) هذا !

صاح (آرون) :

ـ ولماذا مستحيل ؟!

أتاه الجواب على لسان (هونور) ، وهو يقول فى صوت عميق ساخر :

ـ لأن (ديجنتى) ، لا يصلح للزعامة .

بدا الضيق على وجه (ديجنتى) ، ولكنه التزم بالهدوء والرصانة ، وهو يقول :

ـ بل قائدنا شخص آخر يا رفاق .. شخص يمتلك شرعية الزعامة ، ويشرفكم العمل تحت إمرته .

أطلق (هونور) ضحكة ساخرة ، وقال :

ـ عجبًا !.. هل عاد الإمبراطور (بودون) للحياة ؟

لم يجب (ديجنتى) ، وإنما راح يدير عينيه فى وجوههم فى صرامة ، قبل أن يقول :

ـ عظيم .. من الواضح أننا سنضيع اللحظات الحاسمة الأخيرة فى جدل سخيف ، بدلًا من أن نعد العدة لاستقبال المنقذ .

قال (ترات) فى غضب :

ـ وكيف نفعل ، ونحن نجهل موقع هبوطه ؟

أجابهم فى حزم :

ـ المطلوب منكم الآن هو أن يستعد كل منكم برجاله ، للتحرّك فى اللحظة المناسبة ، وعندما تحين تلك اللحظة ، سيعرف كل منكم ما عليه فعله .

همّ بعضهم بالتعليق ، ولكنه استطرد فى صرامة شديدة :

ـ وتذكّروا أنكم أقسمتم جميعًا يمين الولاء لقائدنا ، وأعلنتم طاعتكم العمياء لأوامره وتعليماته ، واستعدادكم للتضحية بحياتكم فى سبيل (أرغوران) ، ولو أنكم ترغبون فى الحنث بقسمكم ، فهذا شأنكم ، ولكن هذا المجلس لن يضمّ سوى الأوفياء والمخلصين فحسب .

رجّتهم كلماته حتى الأعماق ، فصمتوا يتطلعون الى بعضهم ، ثم قالت (نوفسا) فى حزم :

- أعتقد أننى أعبر عن رأى الجميع ، عندما أقول : إننا نكرّر قسمنا ، ونؤكد طاعتنا لقائدنا ، وعملنا من أجل (أرغوران) .

تمتم الجميع مؤيدين قولها ، ثم أشار (ديجنتى) بيده قائلًا :

- انفضّ الاجتماع أيها السادة .

تفرّقوا جميعًا ، وبدءوا يستعدون للانصراف ، عندما استوقف (ديجنتى) (هونور) ، وسأله :

- قل لى يا (هونور) : لماذا تكره هذا المجلس ؟

مطّ (هونور) شفتيه ، قبل أن يقول :

- لست أكره المجلس ، ولكننى أبغض هذا الأسلوب ، الذى صرنا نتعامل به .. إنك تخفى عنا كل شىء .

تلفّت (ديجنتى) حوله ، قبل أن يهمس :

- هذا أمر ضرورى ، فبيننا جاسوس .

استدار إليه (هونور) فى حدة ، وحدجه بنظرة قاسية مستنكرة ، ولكن (ديجنتى) تابع بسرعة :

- لم أكشف أمره بعد ، ولكنه أحد أعضاء المجلس .

قال (هونور) بصوت خافت :

- ألهذا تشك فى الجميع ؟

أومأ (ديجنتى) برأسه إيجابًا ، فتابع (هونور) :

- ومن أدراك أننى لست ذلك الجاسوس ؟

هزّ (ديجنتى) رأسه ، وقال :

- أنا أثق بك ثقة مطلقة ، وسأثبت لك هذا .. سأخبرك بموقع هبوط المنقذ .

تطلّع إليه (هونور) فى حذر ، مغمغمًا :

- حقًّا ؟!

مال (ديجنتى) على أذنه ، وهمس :

- سيهبط المنقذ مع شروق شمس الغد الكبرى ، فى النقطة (٧٠٧) .. عند حافة الأدغال .

ثم اعتدل مستطردًا :

- هل تأكدت الآن من ثقتى بك يا (هونور) ؟.. لقد أخبرتك على التو بأخطر أسرار (أرغوران) .. أخطرها على الإطلاق ، ولو أنك الجاسوس ، لكان هذا يعنى أننى أصدر حكمًا نهائيًا على المنقذ .. أمل (أرغوران) الأخير .

وصمت لحظة .. قبل أن يستطرد فى حزم :

- حكمًا بالإعدام .

وبرقت عينا (هونور) ..

برقت على نحو غامض ...

ومخيف .

* * *

٤ ـ النيـران ..

« ساعة واحدة ، ونبلغ مدار (أرغوران) .. » .

نطقت صورة (بودون) المبرمجة بتلك العبارة ، داخل كابينة القيادة ، فتنهّد (أكرم) ، وقال :

ـ أخيرًا ..

تطلّع إليه (نور) فى صمت ، فى حين أجابه (محمود) ، فى صوت يحمل رنة أسى واضحة :

ـ كم كنت أتمنى أن يشهد (رمزى) معنا تلك اللحظة !

أشاح (نور) بوجهه فى حزن ، وقال (أكرم) فى خفوت :

ـ أنا أريد وأنت تريد ، والله (سبحانه وتعالى) يفعل ما يريد .

غمغم (محمود) ، وهو يقاوم دموعه :

ـ صدقت .

ساد الصمت لحظات داخل الكابينة ، ثم سأل (أكرم) (نور) :

ـ كيف حال ابنتك ؟.. أما زالت تبكيه ؟

أجابه (نور) :

ـ ليس من السهل أن تنساه ، فقد كانا ...

لم يستطع إكمال العبارة ، مع تلك الغصة فى حلقه ، ولكن (أكرم) هزّ رأسه ، وقال :

ـ فهمت .

كانت عدة أيام قد انقضت ، منذ ضاع (رمزى) فى الفضاء ، على بعد آلاف السنوات الضوئية من الأرض ، ولكن الحزن الذى وقر فى القلوب ، لم يكن قد تناقص بعد ، ودموع (نشوى) لم تجف ، وهى تبكى حبيبها المفقود ، من أعمق أعماق قلبها ..

حتى (سلوى) و (مشيرة) ظلتا تبكيان طويلًا ، فالأولى شاركت (رمزى) معظم مغامرات الفريق ، والثانية كانت يومًا زوجته (*) ..

وفى توتر ، وكمحاولة لكتمان حزنه البالغ ، اتجه (نور) إلى الكمبيوتر ، وجلس أمام شاشته ، قائلًا :

ـ ماذا سيحدث ، بعد بلوغنا مدار (أرغوران) ؟

أجابه الكمبيوتر :

ـ سيبدأ تنفيذ خطة الهبوط .

قال (نور) فى دهشة :

(*) راجع قصة (العدو الخفى) المغامرة رقم ٥٢

ـ أهناك خطة خاصة للهبوط ؟

أجابه الكمبيوتر :

ـ بالطبع ؛ فقوات (جلوريال) الفضائية ستراقب (أرغوران) جيدًا ، لرصد هبوطك ، وتعقبك ، ومن الضرورى وضع خطة معقدة ومتقنة ، بحيث تصل إلى (أرغوران) ، دون أن تحدد القوات الجلوريالية موقع هبوطك .

سأل (نور) فى قلق :

ـ وكيف يمكن هذا .. لو أننا على الأرض ، وأرادت سفينة فضاء بحجم (أرغوريا) اختراق غلافنا الجوى ، والهبوط على كوكبنا ، لأمكننا تحديد موقعها ومسارها بمنتهى الدقة ، كما لو كانت بقعة سوداء كبيرة ، تنزلق على سطح أملس شاهق البياض .

أجابه الكمبيوتر :

ـ هذا لو بقيت البقعة سوداء ، وظلّ السطح شاهق البياض .

سأله (نور) فى حيرة :

ـ ماذا تعنى ؟.. ما تلك الخطة بالضبط ؟

هزّت صورة (بودون) رأسها فى هدوء ، وأجابت :

ـ غير مصرّح لى بالإفصاح عن الخطة الآن .

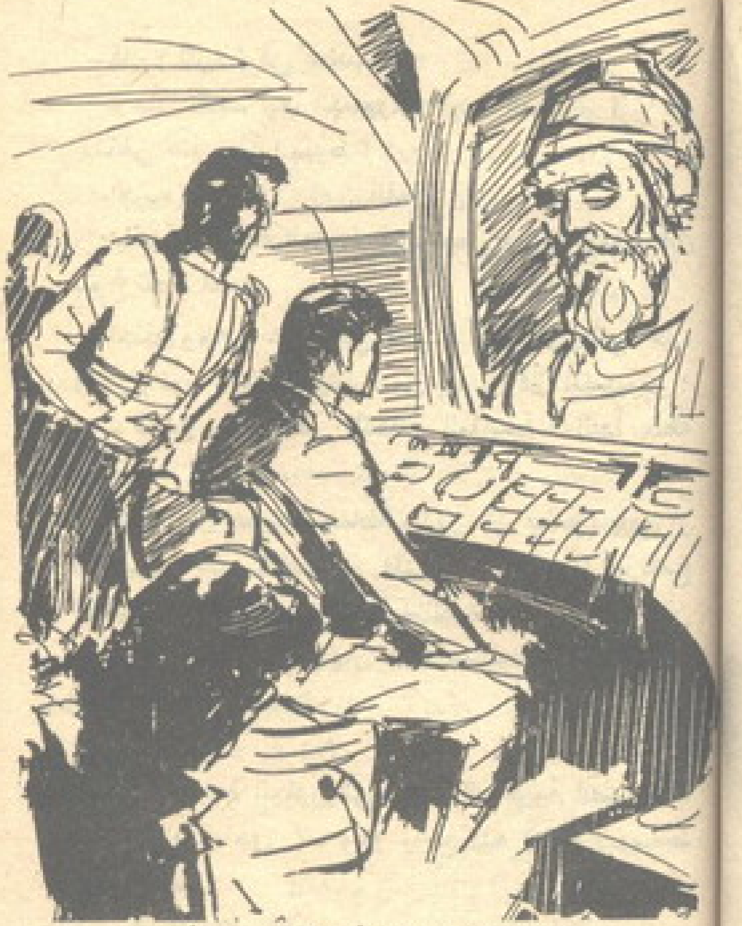

هزت صورة (بودون) رأسها فى هدوء ، وأجابت :

ـ غير مصرّح لى بالإفصاح عن الخطة الآن ..

قال (أكرم) فى غضب :

ـ ماذا تقصد أيها الكمبيوتر اللعين المغرور ؟!.. هل ستخفى عنا خطة الهبوط ؟

أجاب الكمبيوتر ، دون انفعال :

ـ موقع وخطة الهبوط غير مصرّح بإعلانهما ، قبل بلوغ نقطة الصفر .

احتقن وجه (أكرم) فى غضب ، وهمّ بقول شىء ما ، ولكن (نور) أسكته بإشارة من يده ، وقال للكمبيوتر :

ـ فليكن .. سننتظر اللحظة المناسبة ، لنبدأ خطة الهبوط .

قالها بكل هدوء وبساطة ، دون أن يضيق بإصرار الكمبيوتر على الكتمان ، فقد كان يدرك أن برنامج الكمبيوتر لا يملك سوى تنفيذ ما لديه من أوامر ، كما أن مصير (أرغوران) قد ينهار إذا ما أصاب الخطة خطأ ما .. أدنى خطأ ..

* * *

أدى الضابط الجلوريالى تحيته العسكرية الصارمة ، أمام القائد (آجور) . وهو يرفع يده أمامه ، ويبسط راحته هاتفًا :

ـ المجد للإمبراطور.

أشار إليه (آجور) أن يسترخى ، وسأله :

ـ ماذا هناك أيها الضابط ؟

أجابه الضابط فى احترام :

ـ وصلتنا رسالة بالإشارات فائقة التردد ، عبر المنحنى الزمنى (دستاكرون)، من مقاتلاتنا عند مخرج (ميروريا)، يا سيدى القائد .

سأله (آجور) فى اهتمام :

ـ وماذا تقول ؟

أجابه على الفور :

ـ تقول إن قواتنا خسرت إحدى وعشرين مقاتلة ، فى مواجهة (أرغوريا) ، ثم سجلت انفجارها .

برقت عينا (آجور) ، وهو يهتف :

ـ (أرغوريا) انفجرت ؟!

هزّ الضابط رأسه نفيًا ، وقال :

ـ هذا ما بدا ، وما تصوّره مقاتلونا ، ثم تبيّن لهم أنهم ضحية خدعة كبرى ، جعلتهم يهاجمون صورة هولوجرافية للسفينة ، فى حين فرت (أرغوريا) الأصلية منهم ، وسبقتهم إلى هنا .

اتسعت عينا (آجور) ، وهتف :

ـ اللعنة .

ثم استطرد فى توتر :

- ومتى وصلت هذه الرسالة ؟

أجابه الضابط :

- الآن يا سيدى .

استدار (آجور) إلى الخريطة الكونية ، وهو يقول :

- هذه الرسالة أتت عبر المنحنى الزمنى (دستاكرون)، الذى يختصر الزمن والمسافة ، وهذا يعنى أنها ستسبق مقاتلاتنا إلى هنا بمسيرة ست ساعات، وستسبق (أرغوريا) بساعة واحدة .

هتف الضابط :

- إذن فـ (أرغوريا) ستصل إلى هنا فى أية لحظة يا سيدى !

أومأ (آجور) برأسه إيجابًا ، وقال :

- نعم .. وستلجأ حتمًا للتخفى ، حتى لا ترصدها مراصدنا ، ولكنها ستضطر للهبوط بالمنقذ الأسطورى فى مكان ما حتمًا .

قال الضابط :

- ولو عرفنا هذا المكان ، قد يمكننا إحباط المحاولة .

هتف (آجور) :

- بل سيمكننا هذا حتمًا ، لو عرفنا نقطة الهبوط .

وضغط زرًا صغيرًا ، فاختفت خريطة الكون المجسمة ، وحلت محلها خريطة لكوكب (أرغوران)، فحصها (آجور) بعينيه ، وهو يقول :

- ولكن أين هى ؟.. أين ؟

لم يكد يتم عبارته ، حتى دخل حارسه الخاص ، هاتفًا :

- المجد للإمبراطور .

التفت إليه (آجور) ، يسأله :

- ماذا هناك أيها الحارس ؟

أجابه الحارس :

- الأرغورانى (اكس - ١) يطلب المقابلة يا سيدى .

قال (آجور) فى حماس :

- (اكس - ١) ؟!.. دعه يدخل على الفور .. ربما يحمل إلينا بعض المعلومات الهامة .

مرت لحظات قصار ، ثم دلف الجاسوس الأرغورانى إلى حجرة (آجور) ، وقال :

- مرحبًا يا قائد الفرسان .

قال (آجور) فى لهفة :

- مرحبًا يا (اكس - ١) .. ماذا لديك هذه المرة ؟

أجابه الجاسوس :

- لدى معلومات بالغة الأهمية هذه المرة أيها القائد .. معلومات تستحق مكافأة ضخمة .

قال (آجور) فى توتر :

ـ ستحصل على كل ما تريد ، لو أنها معلومات جيدة .

قال الجاسوس :

ـ بل معلومات ممتازة .

ثم مال نحوه ، مستطردًا :

ـ إننى أعرف موضع وموعد هبوط المنقذ .

برقت عينا (آجور) فى شدة ، حتى كادت تحتل موضع الشمس الثالثة لكوكب (أرغوران) ، وارتدّ كالمصعوق ، وقد أذهلته المفاجأة ، فى حين هتف ضابطه :

ـ متى وأين يا رجل ؟!.. أفصح بسرعة .

زمجر الجاسوس (الأرغورانى) ، وقال :

ـ وماذا عن المكافأة ؟

صاح به (آجور) :

ـ قلت لك : ستحصل على كل ما تبتغى .. والآن هات ما لديك ، وإلا ذبحتك بلا رحمة .

لوّح الجاسوس بيده ، وهتف :

ـ رويدك .. رويدك يا قائد الفرسان .. سأخبرك كل ما لدى .

ثم مال نحوه مرة أخرى ، مستطردًا بلهجة تشف عن أهمية ما يقول :

ـ سيهبط المنقذ مع شروق الشمس الكبرى ، فى النقطة (٧٠٧) .. عند حافة الأدغال .

وتفجّر انفعال جارف فى عينى (آجور) .

انفعال يعنى أن هذا القول قد وضع اللمسات الأخيرة على خطة المعركة ..

معركة القضاء على المنقذ الأسطورى ، القادم من (الأرض) ..

على (نور) ..

* * *

ـ وصلنا مدارْ (أرغوران) ...

ردّد الكمبيوتر هذه العبارة ، فسرت رجفة عجيبة فى أجساد الجميع ، وراحوا يتابعون الخريطة ، التى ارتسمت على الشاشة الكبيرة ، وهمست (سلوى) :

ـ لماذا لم ترصدنا مراقب (جلوزيال) إذن ؟

كان صوتها خافتًا للغاية ، وعلى الرغم من هذا فقد أجابها الكمبيوتر :

ـ لأننا الآن على الجانب الآخر لشمس (أرغوران) الصغرى .

وقال (محمود) :

ـ وهذا واضح على الخريطة ، لقد بلغنا مدار

(أرغوران) بالفعل ، ولكننا ندور الآن بنفس سرعته ، على الجانب الآخر لشمسه الصغرى ، مما يجعل الشمس دائمًا بيننا وبينه ، ولكن هذا لن يستمر طويلًا ، فـ (أرغوران) يدور حول شمسيه ، فى مدار فريد من نوعه ، يشبه رقم ثمانية باللغة الإنجليزية (8) ، بحيث تكون شمساه فى مركزى فراغى الرقم ، وهذا يعنى أنه ما إن يتجاوز مدار شمسه الصغرى ، ويبدأ فى اتخاذ مدار شمسه الكبرى ، حتى يصبح رصدنا أمرًا بالغ البساطة .

قال الكمبيوتر فى آلية :

ـ سنكون عندئذ قد بدأنا خطتنا .

سأل (نور) الكمبيوتر فى ضيق :

ـ ألم يحن الوقت بعد ، للكشف عن خطة هبوطنا على (أرغوران) ؟

أجابه الكمبيوتر :

ـ بلى .. يمكنكم معرفة الجزء الأوَّل من الخطة ، وهو يعتمد على إحاطة السفينة بغلاف خاص ، مصنوع من مادة حالكة السواد ، لا تعكس أدنى قدر من الضوء ، بل تمتلك القدرة على امتصاص الضوء كله ، بحيث تصبح

(فوتومتريتها) تساوى صفرًا (*) ، فلا يمكن رصدها بأية أجهزة معروفة .

غمغمت (سلوى) :

ـ يمكننى استيعاب هذا ، فقد واجهنا شيئًا مماثلًا من قبل (* *) .

تابع الكمبيوتر ، وكأنه لم يسمعها :

ـ وفى الوقت نفسه ، يتم قذف الشمس الصغرى بعدد من القذائف المحدودة ، بحيث تؤدى إلى حدوث انفجارات شمسية متعددة ، تؤدى إلى إرباك واضطراب معظم الاتصالات اللاسلكية ، ووسائل الرصد والمراقبة التقليدية (* * *) .

قال (أكرم) فى انبهار :

ـ رباه !.. تبدو وكأنها خطة متقنة بالفعل .. ترى من وضعها ؟!.. (بودون) هذا الذى تتحدثون عنه ، أم ...

قاطعه (نور) فى انفعال ، وكأنه يعترض على حديثه ، الذى يمنع الكمبيوتر من الاستطراد :

(*) الفوتومترية : من عمليات القياس الفيزيائية ، التى تختص بقياس شدة المصادر الضوئية ، والكميات الخاصة بالإضاءة ، واستضاءة الألوان .

(* *) راجع قصة (نداء النجوم) .. المغامرة رقم ١٤

(* * *) حقيقة علمية .

ـ من الواضح أنها خطة طوارى ، تم إعدادها منذ زمن بعيد ؛ لتكون جاهزة للتنفيذ ، عندما تحين لحظة الحاجة اليها .

مطّ (أكرم) شفتيه ، وعقد حاجبيه ، وكأنما لا يروق له أن يقاطعه (نور) على هذا النحو ، ولكن (نور) لم ينتبه إلى هذا ، وهو يسأل الكمبيوتر فى اهتمام :

ـ وماذا عن وسائل الرصد والمراقبة غير التقليدية ؟

أجابه الكمبيوتر :

ـ عندما نتجه نحو (أرغوران) ، سيتم إطلاق قذيفة نووية ، بحيث تنفجر فى فضاء (أرغوران) ، خارج غلافه الجوى ، وفوق قارته بالضبط ، وسيؤدى هذا الانفجار النووى إلى إيقاف عمل كل أجهزة الكمبيوتر ، والأشعة ، وإرباك مسارات الليزر وعيون الحراسة لمدة ساعة أرضية على الأقل (*) .

هتف (محمود) :

ـ وخلال هذه الساعة ، نكون قد هبطنا على (أرغوران) .

(*) نظرية علمية حقيقية .

أجاب الكمبيوتر :

ـ بل يبدأ تنفيذ الجزء الثانى من الخطة ، أما الهبوط الفعلى ، فيأتى فى الجزء الثالث منها .

هتف (أكرم) معترضًا :

ـ وما الجزء الثانى من الخطة ؟

أجاب الكمبيوتر فى صرامة آلية مستفزة .

ـ ستعرفونه عندما يحين موعده .

قالت (مشيرة) فى عصبية :

ـ لماذا يعاملنا هذا الشىء بغطرسة وغرور ؟

وقبل أن يجيبها أحدهم ، واصل الكمبيوتر :

ـ والآن يبدأ الاستعداد لتنفيذ الجزء الأوَّل من الخطة .

ولم يكد يتمّ قوله ، حتى أحاط الغلاف الأسود الحالك بالسفينة ، وانطلقت عشرات القذائف نحو شمس (أرغوران) الصغرى ، وتفجَّرت عشرات الانفجارات الشمسية المحدودة ..

ولأوَّل مرة منذ فترة طويلة ، خرجت (نشوى) عن صمتها ، وسألت :

ـ لو أن هذه الانفجارات تفسد الاتصالات ، فلماذا لا تتأثر بها (أرغوريا) ؟

التفت إليها الجميع فى حذر ، وأطلّت من عيونهم نظرة حانية ، وساد صمت عميق ، وكأنما خشى كل واحد منهم

أن ينطق بحرف واحد ، فتعود (نشوى) إلى ذلك الصمت الرهيب ، الذى أحاط بها ، منذ فقدوا (رمزى) ..

ولكن الكمبيوتر لم يكن يحمل تلك المشاعر ..

لقد استقبل السؤال ، وأجابها على الفور :

ـ لقد تمت حماية الأجهزة داخل السفينة ، ومركبة الهبوط الرئيسية ، من الانفجارات الشمسية والتفجير النووى ، بوسائل خاصة .

سألته (نشوى) :

ـ وما هى مركبة الهبوط الرئيسية ؟

أجابها فى بساطة :

ـ سيأتى ذكر ذلك فى حينه .

وهنا تفجَّرت دموع (سلوى) ، واندفعت تحتضن ابنتها فى حنان ، وتنهَّد (نور) فى قوة ، وهو يقول فى حرارة :

ـ حمدًا لله .

وابتسم (محمود) فى حنان ، وأشاح بوجهه ليخفى دموع تأثره ، فى حين بقى (أكرم) صامتًا ، وقالت (مشيرة) فى شىء من التوتر :

ـ عظيم أنك تجاوزت أزمتك يا (نشوى) ، وشكرًا لله (سبحانه وتعالى)، فالنسيان هو أعظم نعمة منحنا إياها .

أجابتها (نشوى) فى حزم :

ـ أنا لم أنس (رمزى) يا (مشيرة) .. ولن أنساه قط .. كل ما فى الأمر هو أننى فكَّرت كثيرًا ، ووجدت أن (رمزى) قد ضحى بحياته ، فى سبيل ما يؤمن به ، وأعظم ما أحترم به ذكراه ، هو أن أواصل وأتم ما بدأه هو ، وليس أن أبكيه طويلًا .

احتقن وجه (مشيرة) لحظة ، قبل أن تغمغم :

ـ أنت على حق .

بدا الكثير من الضيق على وجه (أكرم) ، ولكنه لم ينبس ببنت شفة ، فى حين قال (محمود) ، وهو يراقب شاشة الكمبيوتر فى اهتمام :

ـ لقد غادرنا موقعنا خلف الشمس الصغرى ، ونحن نتجه نحو (أرغوران) .

لم يكد يتمَّ عبارته ، حتى أطلقت (أرغوريا) قذيفتها النووية ، التى شقَّت طريقها بسرعة نحو فضاء (أرغوران) ، ثم انفجرت ..

وقبل انفجارها بلحظة واحدة ، هبط غلاف داكن على النافذة الضخمة ، فى مقدمة (أرغوريا) ، وعلى الرغم من هذا ، فقد بدا الانفجار النووى الفائق رهيبًا للغاية ، وهو يضىء الفضاء كله ، كما بدا لـ (نور) ورفاقه ، وهم يراقبون ذلك المشهد ..

ثم اندلعت نيران هائلة فى الفضاء ..

اندلعتْ لثانية واحدة ..

أو لجزء من الثانية ..

ولكنها كانت كافية ليطلق الجميع شهقة قوية ، خبت النيران قبل أن تخبو هى فى الصدور ..

ومع خفقات قلوبهم العنيفة ، التى تصاعدت حتى باتت كطرقات عشرات الطبول فى آذانهم ، قال الكمبيوتر بآليته المثيرة :

ـ انتهى تنفيذ الجزء الأوَّل من الخطة ، وبدأ تنفيذ الجزء الثانى .

وفى هذه المرة لم تكتف أجسادهم بخفقات القلوب ..

لقد ارتجفت خلاياهم فى عنف ..

وأى عنف ..

لقد رأوا بعيونهم تلك النيران ..

نيران الكون .

* * *

٥ ـ خطة الهبوط ..

كان المشهد رهيبًا بحق ، بالنسبة لسكان (أرغوران) ، الذين فوجئوا بنيران هائلة تشتعل فى السماء ، وتملأ الكون كله ، بالنسبة لهم ..

وانتفضت الأجساد كلها فى رهبة وذعر ..

ولكن شيئًا ما نبت فى قلب كل (أرغورانى) ، وأزاح الرهبة والذعر جانبًا ، ليتسيَّد كل المشاعر والانفعالات ..

شىء اسمه الأمل ..

صحيح أنهم شاهدوا نيران الكون ، ولكن هذه الظاهرة بدت لهم أشبه بإشارة انتظروها طويلًا ، واشتاقوا إليها كثيرًا ..

إشارة تعلن وصول المنقذ الأسطورى ..

البطل الأرضى المنتظر ، الذى سيعيد إليهم حريتهم وكرامتهم ..

الجميع أدركوا هذا ..

حتى قوات الاحتلال ..

وفى قصر الإمبراطور الجلوريالى ، قال الحكيم (أوراكس) فى توتر :

- الإشارة يا مولاى .. الإشارة التى تحدث عنها رجال المقاومة طويلًا ، ونشروا أمرها بين الشعب .. نيران الكون ، التى تعنى وصول المنقذ الأسطورى .

ثم التفت إلى الإمبراطور ، مستطردًا فى انفعال :

- هل رأيتها يا مولاى ؟

ولكن الإمبراطور لم يجب ..

كان كيانه كله يحدق فى السماء ، حيث تألقت النيران ، وفى أعماقه صورة تولد ..

صورة غرسها فيه إمبراطور (جلوريال) السابق ، قبل أن ينطلق لاحتلال الأرض ..

وفى أعماق الإمبراطور (سيثيا) ، بدأ خوف عجيب ينمو ..

خوف راوده قديمًا ، ولكنه نجح فى دفنه طويلًا فى أعماقه ..

وعاد سؤال مخيف يتردد فى أعماقه ..

لماذا تبدل حال والده إلى هذا الحد ، قبل حملة احتلال الأرض ؟!..

لماذا بدا له وكأنه شخص آخر ، لا يمت بأدنى صلة لذلك الأب ، الذى عرفه طيلة عمره ؟..

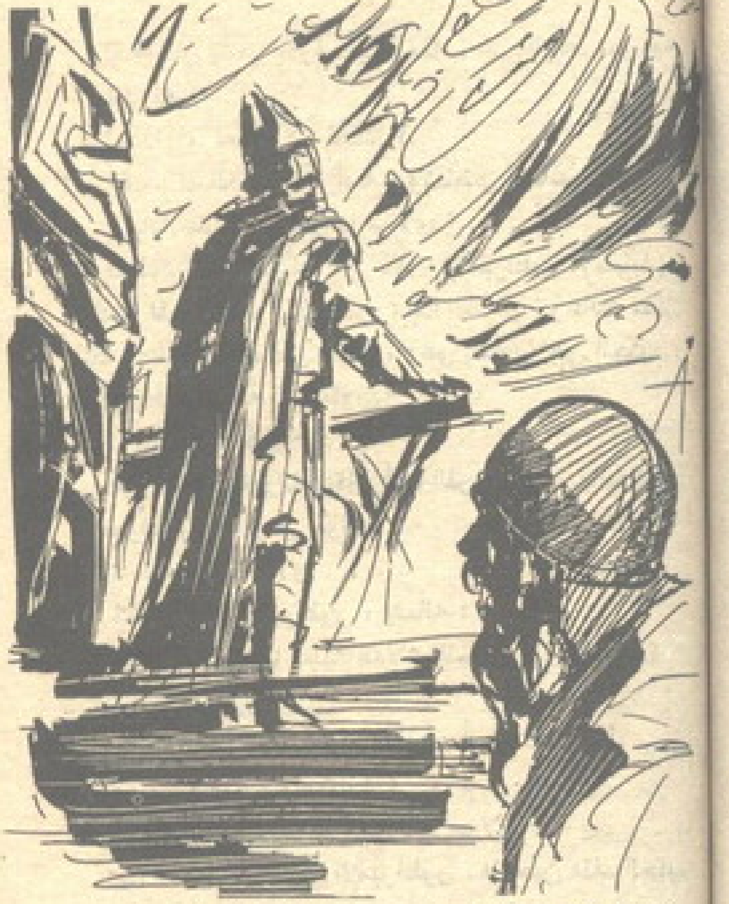

كان كيانه كله يحدق فى السماء ، حيث تألقت النيران ، وفى أعماقه صورة تولد ..

لماذا كان يشعر بخوف مبهم منه ، على الرغم من حبه السابق له ؟!..

لماذا ؟.. لماذا ؟.. لماذا ؟..

ألف (لماذا) تملأ رأسه ، وتعتصر مشاعره ..

، ماذا علينا أن نفعل يا مولاى ؟.. ، .

تلاشت كل الأسئلة من ذهن الإمبراطور (سيلبا) ، عندما ألقى الحكيم (أوراكس) هذا السؤال ، وعادت تحتل ذلك الركن المظلم من عقله ، وهو يستدير إلى الحكيم ، ويقول فى عظمة إمبراطورية :

ـ استدع (آجور) .

قبل أن يتمّ عبارته ، كان قائد الفرسان يعبر باب البهو الإمبراطورى ، وهو يقول :

ـ أنا هنا يا مولاى .

التفت إليه الإمبراطور ، وسأله :

ـ هل أدركت ما يعنيه اندلاع النيران فى الفضاء ؟

أجابه (آجور) :

ـ نعم يا مولاى .. إنه يعنى أن المنقذ قد وصل .

ثم شدّ قامته ، واستطرد فى حزم :

ـ ولكن هذا لا يقلقنى كثيرًا يا مولاى .

بدا الغضب فى عينى الإمبراطور ، فى حين هتف الحكيم فى دهشة :

ـ (آجور) !.. ألا يمكنك استيعاب المو ...

ولكن (آجور) قاطع الحكيم ، وهو يواصل :

ـ فنحن نعرف موعد وموقع هبوط المنقذ .

تألقت عينا الإمبراطور ، وهو يقول فى لهفة :

ـ حقًا ؟!

ألقى (آجور) نظرة جانبية ظافرة على الحكيم ، وشدّ قامته أكثر ، وهو يقول :

ـ نعم يا مولاى .. لدينا كل المعلومات اللازمة عن المنقذ المنتظر ، وكيفية وصوله إلى (أرغوران) ، وستكون لحظته الأولى ، التى يضع فيها قدميه على أرض (أرغوران) ، هى فى الواقع لحظته الأخيرة يا مولاى .

وتألقت عيناه أيضًا وهو يضيف :

ـ وهذا وعد .

* * *

لم تعد النقطة رقم (٧٠٧) ، عند حافة أدغال (أرغوران) ، مجرّد منطقة عشبية عادية ، فى ذلك اليوم :

لقد صارت ترسانة أسلحة كاملة ، تحيط بجيش من أقوى مقاتلى (جلوريال) ، وعلى رأسهم قائد الفرسان (آجور) ..

وفى اهتمام شديد ، سأل أحد الضباط قائده (آجور) :

ـ هل تثق كثيرًا بدقة المعلومات التى لدينا يا سيدى ؟.. وفى أن المنقذ المنتظر سيهبط فى هذه البقعة بالذات ؟

أجابه (آجور) ، وهو يراقب السماء فى اهتمام بالغ :

ـ نعم .. لقد وصلتنى المعلومات من مصدر مؤكد .

تطلع الضابط بدوره إلى السماء ، وقال :

ـ لماذا لا يظهر أى شىء إذن ؟.. لقد أشرقت الشمس الكبرى بالفعل ، ولم نر أية مركبات ، وكل أجهزة الرصد والمراقبة مصابة بالاضطراب ، منذ حدث ذلك التفجير النووى فى الفضاء .

أشار إليه (آجور) بيده ، قائلا فى صرامة :

ـ أعلم هذا .. أعلم هذا .

فهم الضابط ما يعنيه قائده بإشارته ، فلاذ بالصمت ، واكتفى بمشاركته مراقبة السماء ، ولكنه لم يلبث أن شعر بالملل ، من التطلع إلى أعلى طوال الوقت ، والتحديق فى بعض السحب الكثيفة ، فأشاح بوجهه فى ضجر ، و ...

وأطلق شهقة قوية ، وهو يشير إلى أعلى ، هاتفًا :

ـ ها هو ذا .

قفز (آجور) كمن لدغه عقرب ، واستدار بكيانه كله ، يحدق فى النقطة التى يشير إليها ضابطه ، قبل أن يهتف :

ـ نعم .. إنها مركبته ولاشك .

كانت هناك بالفعل مركبة (أرغورانية) ، من طراز تمت إبادته تمامًا ، منذ بدأ الاحتلال ، تهبط فى حذر ، متجهة إلى النقطة (٧٠٧) ، عند حافة الأدغال .

وفى لهفة ، وضع (آجور) منظاره المبرمج على عينيه ، وتطلع إلى المركبة ، وهو يقول :

ـ هناك بعض الأشخاص داخلها بالفعل .. إنهم أرضيون .

همهم ضابطه بعبارة منفعلة ، لم يتبين منها حرفًا واحدًا ، وهو يتابع :

ـ إننى أتبين بشرتهم فى وضوح .. إنهم ستة أشخاص .. بل سبعة .. كلا .. كلا .. إنهم ستة .. أراهم الآن فى وضوح أكثر .. نصفهم من الإناث ، وأحدهم يقود المركبة .. إنه ..

احتبست الكلمات فى حلقه ، والصورة تتضح له أكثر وأكثر ، وامتلأ جسده بتوتر عنيف ، قبل أن يتابع :

ـ إنه هو .

هتف الضابط :

ـ المنقذ ؟!

لم يجب (آجور) ، وهو يتطلّع عبر منظاره إلى وجه (نور) ، الذى ملأ المشهد كله ، والمركبة تواصل هبوطها الحذر .

لقد وصل المنقذ ..

وصل إلى (أرغوران) ..

وإلى البقعة التى ينتظره فيها بالتحديد ..

وفى حزم قائد محنك ، ألقى (آجور) انفعالاته جانبًا ، واعتدل قائلًا لرجاله فى لهجة آمرة قوية :

- استعدوا لتنفيذ الخطة .

تحرّك الرجال فى سرعة ، واختفوا وسط الأدغال ، فى نصف دائرة ، تحيط بمنطقة الهبوط المنتظرة ، وراح (آجور) يتابع المركبة بمنظاره ، وقد بدا له ركابها غاية فى الوضوح ، مع اقترابها أكثر وأكثر ، حتى هبطت فى المنطقة المنشودة بالضبط ، واستقرّت تمامًا ، وانفتحت أبوابها ، فهتف (آجور) :

- الآن .

وفى لحظة واحدة ، كان جيشه الصغير يثب من مكامنه ، ويشهر أسلحته ..

وفى اللحظة التالية انهمرت عشرات من حزم الأشعة القاتلة على المركبة ، التى توهّجت فى شدة ، وانبعث من داخلها صراخ مخيف ، و ...

وانفجرت بدوى هائل ، لتندلع منها نيران رهيبة ..

لكن بريق عينى (آجور) كان يفوق وهج النيران الرهيبة ، وجسده كله يصرخ فى ظفر وانتصار ..

لقد حقّق ما أمره به إمبراطوره ..

وبمنتهى النجاح ..

وسيسجل التاريخ هذه اللحظة حتمًا ..

لحظة انتصار (آجور) ، ونجاحه في سحق المنقذ .. أمل (أرغوران) الأخير ..

* * *

أنهى (ديجنتى) حديثًا قصيرًا ، عبر جهاز اتصال خاص ، مع أحد رجال المقاومة ، الذين يعملون فى فريقه ، ثم رفع عينيه إلى قائده ، قائلًا :

- الجلورياليون هاجموا النقطة (٧٠٧) ، عند حافة الأدغال ، ونسفوا مركبة الهبوط .

مطّ القائد شفتيه ، وغمغم :

- يا للخسارة !.. أتعلم ما يعنيه هذا ؟

هزّ (ديجنتى) رأسه فى أسف ، وقال :

- نعم .. أعلم هذا .

قال القائد :

- لقد كشف الخائن نفسه .

عاد (ديجنتى) يهز رأسه ، قائلًا :

ـ نعم .. كانت خطة جيِّدة .

رفع القائد يده ، وهو يقول :

ـ بل قل : إنها خطة مزدوجة بارعة ، فقد ضربت عصفورين بحجر واحد .. عندما اجتمعت أنت برفاقك الستة ، فى مجلس المقاومة السُّباعى ، أخبرتهم أن المنقذ فى طريقه إلى هنا ، ثم رفضت أن تبلغهم بموعد مكان هبوطه ، مما أثار حنق وتوتر الجاسوس بالطبع ، وبعدها اجتمعت بكل منهم على حدة ، وأبلغته بموعد ومكان مختلف ، ثم جلسنا ننتظر ونراقب ونسأل أنفسنا .. أى موقع سيختاره (الجلورياليون) لقتل المنقذ ؟!.. وكان من الطبيعى أن يختاروا الموقع والموعد ، اللذين أبلغهما إياهما جاسوسهم ، الذى يعرف معلومات زائفة ، تختلف عن كل ما يعرفه الباقون .

غمغم (ديجنتى) :

ـ هذا صحيح .

تابع القائد ، وكأنه لم يسمعه :

ـ وفى الوقت نفسه ، تبدأ (أرغوريا) فى تنفيذ الجزء الثانى من خطة الهبوط ، فترسل ست مركبات هبوط زائفة ، تبدو داخل كل منها صورة هولوجرافية واضحة ،

للمنقذ ورفاقه ، بحيث يمكن رصدها بوسائل المراقبة البسيطة ، وستبادر قوات (جلوريال) المحتلة بمهاجمة إحدى المركبات ، فتكشف لنا أمر الخائن من جهة ، وتتصوَّر أنها تخلَّصت من المنقذ من جهة أخرى .

قال (ديجنتى) مبهورًا :

ـ وفى أثناء انشغالها بكل هذا ، تهبط المركبة الحقيقية ، وعلى متنها المنقذ ورفاقه ، فى سلام ، على أرض (أرغوران) .

ابتسم القائد وقال :

ـ هذا صحيح .. وعلينا أن نستعد لاستقبالهم .

سأله (ديجنتى) فى لهفة :

ـ أين يا سيِّدى ؟.. أين نستقبل منقذنا الأسطورى ورفاقه ؟

أجابه القائد فى هدوء :

ـ فى أكثر مناطق (أرغوران) أمنًا .

سأله (ديجنتى) فى لهفة أكثر :

ـ وأين هذا بالضبط ؟

التفت إليه القائد ، وقال بابتسامة غامضة :

ـ ألم تستنتج هذا بعد يا (ديجنتى) ؟

اعتصر (ديجنتى) عقله ، بحثًا عن الجواب ، ولم يعد كيانه كله يحوى سوى سؤال واحد كبير ..

أين يهبط المنقذ المنتظر ؟..

أين ؟..

* * *

« فى المحيط .. » .

خرج الجواب من الكمبيوتر آليًا حاسمًا ، فتبادل الجميع فى كابينة القيادة نظرة دهشة وقلق ، وسأل (نور) :

- ولماذا المحيط بالذات ؟

أجابه الكمبيوتر :

- المحيط يحتلّ ثلثى (أرغوران) ، والرقابة عليه تقلّ كثيرًا عن الرقابة على اليابسة ، ولقد اخترنا موقعًا بلا رقابة ، بعد اضطراب أجهزة الرصد والمراقبة ، وستهبط المركبة حتى ارتفاع ستة أمتار من سطح المحيط ، ثم تنطلق بمحاذاة السطح ، على الارتفاع نفسه ، حتى تبلغ نقطة مختارة من اليابسة ، وهناك ستجدون قائد المقاومة فى انتظاركم .

ثم اختفت صورة (بودون) من الشاشة ، وظهرت بدلًا منها صورة مجسّمة لكوكب (أرغوران) ، وهو يسبح فى الفضاء ، مع صوت (بودون) ، وهو يقول :

- والآن دعونا نراجع فى سرعة كل ما تم تلقينكم إياه ، عن جغرافية (أرغوران) وتاريخه ، والكوكب كما تلاحظون ، يشبه (الأرض) كثيرًا ، ولكنه يتكوّن من قارة واحدة ، تحتل ثلث مساحته تقريبًا ، وتمتد فى شكل مخروطى ، من القطب الشمالى إلى القطب الجنوبى ، والباقى عبارة عن محيط شاسع ..

راح يردّد المعلومات الأساسية لربع ساعة كاملة ، استمع إليه الجميع خلالها فى اهتمام ، وهم يراجعون ما قاله مع ما اختزنته ذاكرتهم طوال الرحلة ، عبر أسلوب التلقين المتطوّر ، ثم قال الكمبيوتر :

- الآن عليكم التوجه إلى مركبة الهبوط ، وهى مصنوعة بحيث يكون هناك اتصال دائم ، بينها وبين (أرغوريا) ، التى ستظل تدور فى مدار (أرغوران) ، حتى تعودوا إليها ، أو ترسلوا لاستدعائها ..

نهض الجميع ، واتجهوا إلى منطقة مركبة الهبوط ، ولكن الكمبيوتر استوقف (نور) ، قائلًا :

- سيّدى المنقذ .. لدى رسالة خاصة لك .. وحدك .

توقف (نور) لحظة ، ثم التفت إلى رفاقه ، وقال :

- اذهبوا أنتم .. سألحق بكم بعد قليل .

لم يعترض أحدهم ، بل اتجهوا مباشرة لاتخاذ أماكنهم ، فى مركبة الهبوط ، فى حين جلس هو أمام شاشة الكمبيوتر ، وقال :

ـ هأنذا .. كلى آذان صاغية .

بدت له صورة (بودون) على الشاشة أكثر حيوية ، وهى تقول :

ـ هذه رسالة خاصة يا (نور) ، لو أنك تستمع إليها ، فهذا يعنى أنك تستعد للهبوط على (أرغوران) ، وأن رحلتك من (الأرض) إليه قد مرّت بنجاح .. وما ينتظرك هو المرحلة الحاسمة ، فى تاريخك ، وتاريخ (أرغوران) كله .. فى البداية أرجو أن تنسى أنك أتيت إلى (أرغوران) فى المرة الأولى أسيرًا (*) ، وأن تتذكّر فقط أنك تصل إليه الآن منقذًا وأملًا لشعبه المحتل . وقبل أن تهبط إلى (أرغوران) ، دعنى أعلمك بالكثير ، مما ينبغى عليك معرفته ، بصفتك الإمبراطور الشرعى له الآن .

وطوال عشر دقائق كاملة ، راح (بودون) يتحدّث مع (نور) ، عبر رسالته المسجّلة ، وينقل إليه كل ما لديه ..

وكان (نور) يصغى طوال الوقت ..

وبكل الانتباه والاهتمام ..

(*) راجع قصة (جحيم أرغوران) .. المغامرة رقم ٥٩

وبعد قليل ، وعندما انطلقت به وبرفاقه مركبة الهبوط ، لم يحاول أحدهم سؤاله عما أخبره به الكمبيوتر .

ولم يحاول هو أن يفصح عما لديه ..

لقد لاذ كل منهم بصمت مطبق ، وهم يراقبون (أرغوران) ، الذى يقتربون من محيطه الهائل فى سرعة ..

ولثوان خُيّل إليهم أن هذه السرعة الفائقة ، ستجعلهم يغوصون حتمًا فى أعماق المحيط ، ولكن المركبة لم تكد تبلغ ارتفاع ستة أمتار ، حتى انحنت فجأة بزاوية قائمة شبه مستحيلة ، وانطلقت بمحاذاة سطح المحيط ، الذى بدا هادئًا ، تتلذر فيه الأمواج ..

ثم هتفت (مشيرة) فجأة :

ـ اليابسة .

تطلّع الجميع فى اهتمام إلى الشاطئ الصخرى ، الذى يقتربون منه فى سرعة ، وإلى الرجل الواقف عنده ، ثم مالت المركبة مرة أخرى ، ودارت حول نفسها ، قبل أن تستقر على الشاطئ ، وتتفتح أبوابها كلها دفعة واحدة ..

وفى حذر قلق ، غادر الجميع مركبة الهبوط ، ليستقروا فوق أرض (أرغوران) ، الكوكب الذى عبروا ملايين السنوات الضوئية للذود عنه ..

ومع مغادرتهم المركبة ، اقترب منهم قائد المقاومة الأرغورانية ، وابتسم فى ارتياح ، وهو يقول :

ـ مرحبًا بكم على أرض (أرغوران) .

ولكن الجميع حدّقوا فى وجهه فى ذهول ، فى حين أطلقت (سلوى) و (مشيرة) شهقتى دهشة عنيفتين ..

والواقع أن ذلك الواقف أمامهم كان يحمل لهم مفاجأة .. مفاجأة مذهلة للغاية .

* * *

٦ ـ المقاومة ..

مط (هونور) شفتيه ، وهو يراقب شمس (أرغوران) الكبرى ، وغمغم فى ضجر :

ـ يوم آخر يا (هونور) .

وزفر فى عصبية ، قبل أن يتجه إلى خزانته ، ويلتقط منها جهازًا صغيرًا ، ثبته فى حزامه ، ثم أغلق النافذة ، وفتح باب منزله ، وهو يهم بالخروج ، إلا أنه لم يلبث أن توقف بغتة ، وهو يتطلع فى دهشة إلى (ديجنتى) ، الذى وقف أمامه صامتًا ، ينظر إليه فى صرامة ، وخلفه خمسة من رجال المقاومة التابعين له ..

ولم تستغرق دهشة (هونور) أكثر من لحظة واحدة ، ابتسم بعدها فى سخرية ، وهو يقول :

ـ عجبًا !.. ألم تعد تستطيع القدوم لزيارتى وحدك يا (ديجنتى) ، فأصبحت تحضر طاقم حراستك معك ؟!

رمقه (ديجنتى) بنظرة صارمة طويلة ، ثم قال :

ـ الجلورياليون هاجموا النقطة (٧٠٧) ، عند حافة الأدغال ، مع شروق الشمس الكبرى .

هتف (هونور) :

ـ حقًا ؟!.. وماذا أصاب المنقذ ؟

أجابه (ديجنتى) فى اقتضاب :

ـ قتلوه .

تراجع (هونور) هاتفًا فى انفعال :

ـ قتلوه ؟!

دفعه (ديجنتى) داخل المنزل ، وعبر إليه فى قسوة ، وهو يقول :

ـ نعم يا (هونور) .. قتلوه .. أليس هذا ما تمنيته دائمًا ؟

صاح به (هونور) فى غضب :

ـ أى قول أحمق هذا ؟

لاحظ (هونور) ، وهو ينطق عبارته هذه ، أن رجال المقاومة الخمسة قد لحقوا بقائدهم (ديجنتى) داخل المنزل ، وأغلقوا بابه خلفهم فى إحكام ، وأسرع أحدهم يُشعل المصباح ، و (ديجنتى) يقول فى غضب :

ـ ما أقوله هو الحقيقة يا (هونور) .. الحقيقة التى كشفت أمرك .. أنت وحدك كنت تعلم أن المنقذ سيصل إلى النقطة (٧٠٧) ، عند شروق الشمس الكبرى .. الباقون كانت لديهم معلومات مختلفة .. وأنت وحدك كنت تبغض

فكرة وصول منقذ غير أرغورانى ، ليقود المقاومة الأرغورانية .

قال (هونور) فى حدة :

ـ وما زلت أرفض هذا تمامًا ، ولكن رفضى لا يعنى أن أخون حركة المقاومة .

هزَّ (ديجنتى) رأسه ، وهو يقول فى حزم :

ـ لا تحاول يا (هونور) .. الخطة كانت محكمة للغاية ، ومن المستحيل أن يعرف الجلورياليون هذا الموقع ، ما لم تخبرهم أنت بالذات .

صاح به (هونور) غاضبًا :

ـ وماذا عنك ؟!

سأله (ديجنتى) :

ـ ماذا تعنى يا (هونور) ؟

قال (هونور) ثائرًا :

ـ أعنى أنك أيضًا كنت تعرف الموقع والموعد ، فلم لا تكون ذلك الخائن ؟ من أدرانى أنك لم تتعمد دفعهم إلى هناك ، لتتهمنى بالخيانة بدلًا منك ؟!

ابتسم (ديجنتى) فى سخرية ، وقال :

ـ لو أننى الخائن لما جازفت بإرسال قوات (جلوريال) إلى موقع وموعد ، أعلم أنهما زائفين ، فغضب المحتلين قد يدفعهم عندئذ لقتلى ، عندما يكتشفون الخدعة .

بدا اهتمام شديد على وجه (هونور) ، وهو يقول :

ـ زانفان ؟!.. أتعنى أن المنقذ لم ...

قاطعه (ديجنتى) فى صرامة :

ـ نعم يا (هونور) .. المنقذ لم يلق مصرعه كما كنت تتمنى .

ثم التفت إلى رجاله الخمسة ، مستطردًا فى حزم :

ـ ألقوا القبض عليه .

تحرك الرجال الخمسة فى صرامة ، ولكن (هونور) كان الأسبق إلى الانقضاض ، وهو يقول فى غضب :

ـ من السهل قول هذا يا (ديجنتى) .

قالها وقدمه تركل رجلين ، ثم تقفز قبضته لتلكم الثالث ، ويندفع إلى اليسار ليضرب الرابع والخامس ، ويوقعهما أرضًا ، مستغلاً عامل المباغتة ، وبعدها انطلق يعدو نحو النافذة ، مستطردًا :

ـ المهم التنفيذ .

صرخ (ديجنتى) :

ـ أوقفوه .

أطلق اثنان من الرجال سلاحيهما ، ولكن أشعتى السلاحين أخطأتا هدفهما ، وأصابت إحداهما إطار النافذة ، فى حين عبرتها الأخرى ، فوق رأس (هونور) ، الذى وثب مقتحمًا النافذة ، وهبط خارجها ،

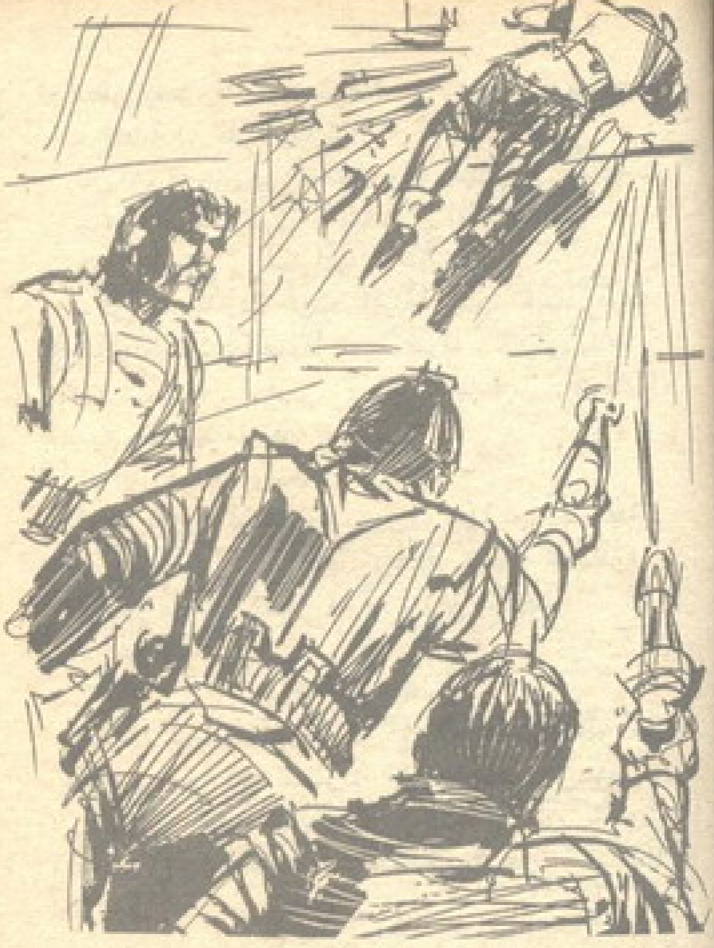

فى حين عبرتها الأخرى ، فوق رأس (هونور) ، الذى وثب مقتحمًا النافذة ، وهبط خارجها ..

ثم انطلق يعدو بكل قوته مبتعدًا ، و (ديجنتى) يهتف :

ـ اللعنـة !.. لقد هرب منا .

قال أحد الرجال فى انفعال ، وهو ينهض فى سرعة :

ـ إنه لن يبتعد كثيرًا .. يمكننا أن نلحق به .

هز (ديجنتى) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ كلا .. مطاردة كهذه كفيلة بجذب انتباه قوات الاحتلال ، وتهديدنا جميعًا بكشف أمرنا .. اتركوه يبتعد ، ولكننا سنذيع أن (هونور) خائن وجاسوس ، ونطالب الجميع بمطاردته والقضاء عليه .

ثم عدّل ثيابه ، واستطرد فى حزم :

ـ أما الآن ، فستتضافر جهودنا كلها من أجل هدف واحد ، بعد أن وصل المنقذ ، وحانت اللحظة المنتظرة .

وارتج صوته بانفعال جارف ، وهو يضيف :

ـ لحظة الثورة .

* * *

اتسعت عينا (سلوى) عن آخرهما ، وهى تحدّق مع رفاقها فى وجه قائد المقاومة ، قبل أن تهتف فى ذهول :

ـ ولكن هذا مستحيل!!.. لايمكن أن تكون (بودون) !!.. لقد لقيت مصرعك على الأرض (*) .. كلنا نعلم هذا .

(*) راجع قصة (الصراع) .. المغامرة رقم ٧٨

وهتفت (نشوى) :

ـ هذا صحيح .

ابتسم القائد فى صمت ، فى حين قال (نور) فى هدوء :

ـ إنه ليس (بودون) .

نقلوا جميعًا أبصارهم ، بين (نور) وقائد المقاومة ، فى دهشة وحيرة ، فاستطرد الأوّل ، وهو يتطلّع مثلهم إلى وجه الثانى :

ـ إنه توءم (بودون) .

ردّدت (مشيرة) فى دهشة :

ـ توءمه ؟!

ثم استحالت دهشتها إلى حماس غامر ، وهى تستطرد :

ـ يا للروعة !.. إنه أفضل تحقيق قمت به فى حياتى كلها .. المفاجآت عظيمة .. ستبهر المشاهدين للغاية .. هل يمكنكم تخيّل هذا ؟.. أكاد أقرأ العناوين المبهرة .. (مفاجأة على أرض أرغوران).. (توءم الإمبراطور).. الـ ...

بترت عبارتها بغتة ، واكتسى وجهها بحمرة الخجل ، عندما انتبهت إلى أن الجميع يتطلعون إليها فى صمت ، وغمغمت فى حياء :

ـ أقصد أن الأمر سيبدو عظيمًا ..

قال (أكرم) بسرعة ، وكأنه يكمل عبارتها :

ـ لو أننا عدنا إلى الأرض أحياء .

شحب وجهها ، وارتجفت أطرافها للفكرة ، ولكن (بودان) قال فى هدوء ، أسهم فى حجب توتر الموقف :

ـ ستعودون إليها ، لو سار كل شىء على ما يرام .

غمغم (نور) :

ـ بإذن الله .

ثم استطرد فى اهتمام :

ـ أعتقد أننا لن نبقى هنا طويلًا .. أليس كذلك ؟

أجابه (بودان) :

ـ بالطبع .. كل شىء معد بمنتهى الدقة .. سننطلق فورًا إلى مقر المقاومة السرى ، الذى ينتظركم منذ رحل (بودون) إليكم ، وهو يحوى كُل ما تبقَّى من تكنولوجيتنا ، التى أصرّ المحتلون على تدميرها ، أما مركبة الهبوط ، فستستقر فى مخبأ خاص ، حتى تنتهى مهمتكم ، وتحتاجون إليها للعودة إلى (أرغوريا) .

سأله (أكرم) :

ـ وأين هذا المخبأ ؟

صمت (بودان) لحظات ، ثم ابتسم ابتسامة غامضة ، وهو يجيب :

ـ كلما قلّ ما تعرفه ، كانت فرصة حصول الأعداء على المعلومات أكثر ضعفًا .

انعقد حاجبا (أكرم) فى غضب ، وهو يقول :

ـ ما الذى يعنيه هذا ؟.. هل تشير إلى احتمال تعاونى مع الجلوريالبين ؟

كان الجميع يتوقعون ردًا دبلوماسيًا من (بودان) ، ولكنهم فوجئوا به يقول فى هدوء شديد :

ـ ربما .

تقافزت شياطين الغضب كلها من وجه (أكرم) ، وهو يقول :

ـ ماذا تقول ؟

أجابه (بودان) فى سرعة وهدوء :

ـ أقول إنه من المحتمل أن يقع أحدكم فى الأسر ، ويستخدم معه المحتلون كل وسائلهم التكنولوجية ، التى تلغى إرادته تمامًا ، وتدفعه إلى الإدلاء بكل ما لديه ، دون أن يملك من أمر نفسه شيئًا ، وفى هذه الحالة ، يكون من الأفضل أن تقتصر معارفه على أقل القليل .. أليس كذلك ؟

ران صمت عجيب ، بعد أن انتهى (بودان) من قوله ، ثم غمغم (أكرم) فى شجاعة :

ـ أنت على حق ، فى كل ما نطقت به .

وهنا تراخت ملامح (نور) فى ارتياح ، وقال :

ـ والآن هيا بنا إلى المقر السرى .. كم نحتاج من الوقت للوصول إليه يا (بودان) ؟

أشار (بودان) بيده ، وقال

- ما رأيك فى دقيقة واحدة ؟!

ولم يكد يتم عبارته ، حتى ارتفع جزء من اليابسة ، وبرز أسفله مدخل المقر السرى ..

وفى صمت ، ودون تعليق واحد ، دلف الجميع إلى المقر ، وراحوا يتطلعون إلى الأجهزة التكنولوجية داخلة ، و (بودان) يقول :

- ستجدون هنا كل ما تحتاجون إليه .. أجهزة رصد ومراقبة ، وأدوات اتصال متطوِّرة ، وأسلحة ، وخدمات طبية آلية ، مبرمجة لتتوافق مع تركيبكم البشرى .. كل شىء .. ولكن كل هذا لن يعمل قبل مرور نصف الساعة على الأقل ، عندما يتلاشى تأثير الانفجار النووى الفضائى ، وفور بدء البث ، سنذيع رسالة خاصة على شعب (أرغوران) .. رسالة تعنى أن المنقذ قد وصل بسلامة إلى مقر المقاومة ..

ورفع رأسه فى اعتداد ، مستطردًا :

- وأن الثورة قد بدأت ..

نطقها فى حماس وانفعال شديدين ، ران بعدهما صمت عميق داخل المقر السرى ..

صمت ثورة تولد فى الأعماق ..

* * *

تحرَّك الجاسوس الأرغورانى فى خفة ، عبر ممرات القصر الإمبراطورى الجلوريالى ، حتى بلغ حجرة (آجور) ، وقال لحارسها فى توتر :

- لدى تصريح بمقابلة قائد الفرسان .

أتاه صوت (آجور) من الداخل ، وهو يهتف :

- ادخل يا (اكس - ١) .. أنا فى انتظارك .

دلف الجاسوس إلى حجرة قائد الفرسان ، الذى استقبله فى حرارة ، قائلًا :

- لقد أوصيت بمنحك مكافأة ضخمة يا (اكس - ١) ، فقد هبطت مركبة المنقذ فى النقطة التى حدَّدتها بالضبط ، وأمكننا تدميرها تمامًا .

وقهقه فى ظفر ، وهو يربت على ظهر (اكس - ١) ، مستطردًا :

- المهمة انتهت بأسرع وأبسط مما تصوَّرنا يا رجل .. سنذيع النبأ على الفور ، و ...

قاطعه الجاسوس فى توتر :

- الأفضل ألا تفعل يا سيِّدى .

تطلع إليه (آجور) فى دهشة ، وهو يقول فى قلق :

- لماذا يا (اكس - ١) ؟

ازدرد الجاسوس لعابه ، وبذل جهدًا خرافيًا للسيطرة على توتره ، وهو يجيب :

- لقد كانت خدعة .

هوت العبارة على (آجور) كصاعقة رهيبة ، من صواعق أعاصير (أرغوران) ، وحدق فى وجه (اكس - ١) فى ارتياع ، قبل أن يصرخ بكل ما تفجّر فى صدره من مشاعر :

- خدعة ؟!

تراجع الجاسوس فى قلق ، وهو يقول :

- أنا نفسى لم أدرك هذا فى البداية .. لقد خدعنا (ديجنتى) ، وجعلنا نتصوّر أن المنقذ سيصل فى تلك النقطة ، وخدعتكم (أرغوريا) بهدف زائف ، وصور هولوجرافية وهمية ، و ...

لم يسمح له (آجور) باستكمال حديثه ، وهو يصرخ فى وجهه :

- وأتيت لتخبرنى بهذا الآن .

تراجع الجاسوس أكثر فى خوف ، وهو يهتف :

- هذا أفضل من مواصلة خداعك يا سيّدى .. أليس كذلك ؟

انقضّ عليه (آجور) فى غضب ، وانتزع سلاحه ليلصقه بعنقه ، وهو يصيح ثائرًا كبركان ملتهب :

- وما الذى تتوقّعه منى الآن ؟.. أن أشكر لك قدومك ، وأمنحك مكافأة سخية ؟!.. لقد جعلت منى أضحوكة أيها الوغد ، ولن أستبعد أن يأمر الإمبراطور بقتلى .. هل تعلم ما الذى سأفعله الآن ؟.. سأمنحك المكافأة التى تستحقها .. سأقتلك .

هتف الجاسوس فى ارتياع :

- لا يا سيّدى .. ستخسر الكثير بقتلى .

صاح (آجور) :

- على العكس أيها الغبى .. قتلك قد يكون التبرير الوحيد ، الذى يمكننى تقديمه لمولاى الإمبراطور ، لتغطية هذا الفشل الذريع .

هتف الجاسوس :

- ولكننا لم نخسر تمامًا يا سيّدى .. ما زال هناك جانب مشرق ، قد يساعدك على الإيقاع بالمنقذ المنتظر ، فى غضون يوم أو يومين على الأكثر .. أقسم لك .

توقّف (آجور) ، ورمقه بنظرة تتقافز منها شياطين الغضب ، وهو يسأله :

- وكيف أيها المتحذلق الحقير ؟

أجابه الجاسوس بسرعة :

- إنهم لم يكشفوا أمرى بعد .

صاح (آجور) :

- وفيم يفيدنا هذا أيها الغبى ؟

أجابه بسرعة :

ـ إنهم يتصوَّرون الآن أن الجاسوس شخص آخر ، وأعلنوا هذا بالفعل ، ولذلك فسيكون شعورهم بالأمن عاليًا ، وسيجتمع المجلس السُباعى بالمنقذ ، وعندئذ ..

لم يتم عبارته ، ولكن المعنى الذى يقصده بدا مفهومًا ، فتطلَّع إليه (آجور) لحظات فى صرامة ، ثم تخلَّى عنه ، وقال :

ـ اشرح لى الأمر بالتفصيل .

تنهَّد الجاسوس فى ارتياح ، وقال :

ـ كنت أشعر منذ البداية أن (ديجنتى) يحاول خداعنا ؛ لذا فقد سعيت لمعرفة ما أبلغ به أخلص قادة المقاومة (هونور) ، وأخبرتكم بالفعل بالموقع والموعد ، اللذين حدَّدهما (ديجنتى) لصديقه (هونور) ، ولكننى لم أتصوَّر قط أن (ديجنتى) الماكر اللعين لم يمنح ثقته ، حتى لأصدق أصدقائه .. وهاجمتم أنتم النقطة (٧٠٧) ، ودمرتم الهدف الزائف ، وعلى الرغم من هذا الفشل ، فقد تصوَّر (ديجنتى) على الفور أن (هونور) هو الخائن ، وهاجم منزله بالفعل ، ولكن ـ ولحسن حظنا ـ لم يقبل (هونور) الاستسلام ، ونجح فى الفرار منهم .. وأعلن رجال المقاومة أن (هونور) خائن وجاسوس ، وطالبوا

الجميع بالتكاتف للإيقاع به وتصفيته ، وهو الآن هارب وحيد ، لا يجد مكانًا واحدًا يأوى إليه ، وسيسقط فى قبضتهم إن عاجلًا أو آجلًا .. المهم أنهم يعتبرونه الجاسوس الآن ، ويعتبرون الباقين مخلصين أوفياء ، ومن الطبيعى أن تهدأ نفسهم ، ويبدءون فى عقد اجتماع بيننا وبين المنقذ ، وعندئذ تنقضون على مقر المجلس السُباعى ، و ...

فرفع سبَّابته وإبهامه ، مكملًا المعنى المقصود ، فصمت (آجور) لحظات ، ثم قال فى صرامة متوتِّرة :

ـ فليكن يا (اكس ـ ١) .. سأقبل خطتك هذه المرة ، وأمنحك فرصة أخيرة لتحسين موقفك .. المهم أن نتحرَّك بسرعة ، قبل أن يدرك الإمبراطور أننا فشلنا فى الـ ...

قبل أن يتمّ عبارته ، اندفع أحد رجاله إليه ، وهتف فى توتر بالغ :

ـ سيِّدى القائد .. هناك رسالة .. رسالة فى الـ ... فى الـ ...

قال (آجور) فى عصبية :

ـ تمالك نفسك أيها الجندى .. فى أى مكان هذه الرسالة ؟

أشار الجندى إلى النافذة بسبابة مرتجفة ، وهو يقول :

- فى السماء .

اتسعت عينا (آجور) فى دهشة ، والتفت فى سرعة إلى النافذة ، ثم انتفض جسده كله فى عنف ..

فأمامه مباشرة ، وفى قلب السماء ، كانت هناك رسالة هولوجرافية حمراء متألقة ، تقول بلغة أرغورانية واضحة :

- وصل المنقذ إلى (أرغوران) .

ولم يدر (آجور) كيف تدفقت كل تلك المشاعر الرهيبة فى عروقه ، وهو يحدق فى الرسالة المعلقة فى السماء ..

لقد كانت إشارة واضحة وصريحة إلى فشله التام ..

وإلى اندلاع شرارة الثورة ..

ثورة (أرغوران) .

* * *

٧ ـ الضربة الأولى ..

ابتسم (بودان) فى ارتياح ، وهو يراقب شاشة الراصد ، التى نقلت مشهد العبارة الهولوجرافية ، المتألقة فى سماء (أرغوران) ، وقال لـ (نور) فى ظفر :

- الآن يعرف كل مواطن أرغورانى أنك وصلت يا (نور) ، وأن الثورة قد بدأت ضد المحتلين .. هل تعلم ؟.. لقد استخدمنا وسيلة تكنولوجية فائقة ، لنبث هذه الرسالة ، وضحينا بالوسيلة نفسها ، التى سيكشف المحتلون أمرها بسرعة حتمًا ، فى سبيل رفع الروح المعنوية لشعبنا ، وإعلامه بقدومك .

هزّ (نور) رأسه متفهمًا ، وقال :

- يمكننى تقدير هذا يا (بودان) ، ولكننى لا أميل إليه كثيرًا .

التفت إليه (بودان) ، يسأله فى دهشة :

- لماذا ؟!.. ألا تؤمن بالحرب النفسية ؟

أجابه (نور) :

- بل أومن بها تمامًا يا (بودان) ، وأثق بأن فاعليتها

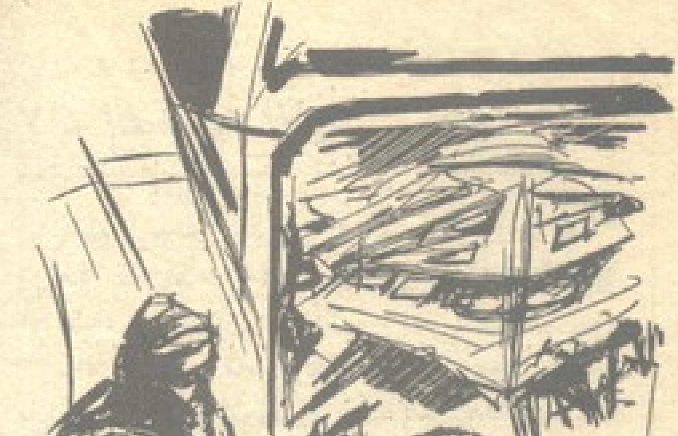

وقال لـ (نور) فى ظفر :

ــ الآن يعرف كل مواطن أرغورانى أنك وصلت ..

قد تفوق ، فى بعض الأحيان ، فاعلية أسلحة القتال التقليدية ، ولكن ما فعلناه كان أقرب إلى النشرات الدعائية لمنتج تجارى جديد ، منه إلى إعلان بدء قيام ثورة شاملة .

هزّ (بودان) كتفيه ، وقال :

ـ فليكن .. أنت القائد الآن ، ويمكنك اتخاذ كل ما يحلو لك من قرارات .

صمت (نور) لحظات ، ثم تنهّد فى عمق ، وقال :

ـ هل تعلم يا (بودان) ؟.. الرسالة الأخيرة ، التى تركها لى (بودون) ، فى كمبيوتر السفينة ، مازالت ترن فى أذنى حتى الآن .. لقد أخبرنى فيها أنه وضع خطة متكاملة ؛ لضمان وصولى إلى (أرغوران) ، ولكنه يترك لى حرية التصرّف تمامًا ، بعد وصولى إلى كوكبكم ، ثم أخبرنى بأمرك ، وبأنه طلب منك تكوين فرق مقاومة قوية ، لتصبح بمثابة جيش مدنى ، يمكننى قيادته لتحرير (أرغوران) ، ولكن معلومات (بودون) (رحمه الله) ، كانت تقتصر على آخر ما عرفه ، قبل أن يغادر كوكبه .

قال (بودان) :

ـ كلّا .. لقد أرسلت إليه بكل ما حدث ، عبر المنحنى الزمنى (دستاكرون) ، طوال رحلته إلى الأرض .

لوّح (نور) بسبابته ، وقال :

ـ وحتى مع وضع هذا فى الاعتبار ، تكون معلومات (بودون) قاصرة ، عند لحظة مصرعه على الأكثر ، وهذا لا يكفى ليمنحنى صورة كاملة عن الموقف .

اعتدل (بودان) ، وقال فى اهتمام :

ـ ما الذى تريد معرفته ؟

مال (نور) نحوه ، وقال :

ـ كل شىء يا (بودان) .. كل ما لديك عن تطور المقاومة ، منذ رحل (بودون) ، وحتى هذه اللحظة .

أومأ (بودان) برأسه ، وقال :

ـ فليكن .

وفى استفاضة ، راح يروى لـ (نور) كل ما لديه عن المقاومة ، وقادتها ، ومجلسها السُباعى ، وفرقها ، وتنظيمها ، وحتى عن مشكلة وجود جاسوس بين صفوفها ، وما حدث مع (هونور) ..

ولم يقاطعه (نور) طوال ساعة كاملة ، أصغى إليه خلالها فى انتباه تام ، واهتمام لا نظير له ، حتى انتهى (بودان) من روايته تمامًا ، وقال :

ـ هذا كل ما لدى أيها الإمبراطور .

رفع (نور) حاجبيه فى دهشة ، وهو يردد :

ـ الإمبراطور ؟!

أجابه (بودان) :

ـ بالطبع .. أنت الإمبراطور الشرعى الآن لكوكب (أرغوران) ، بعد رحيل (بودون) .

أشار إليه (نور) ، قائلًا :

ـ وماذا عنك ؟

هزّ (بودان) كتفيه ، وقال :

ـ لو أنك لم تصل إلى هنا ، لأصبحت أنا الإمبراطور ، ولكن ..

قاطعه (نور) فى هدوء :

ـ فليكن .. لن يمكننى استيعاب قواعدكم وقوانينكم بسرعة ، ولكننى أمقت تلك الألقاب الرنانة على أية حال .. ما رأيك لو تبادلنا الألقاب ، فتخاطبنى أنت بلقب (القائد) ، وأمنحك أنا لقب (الإمبراطور) .

هزّ (بودان) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ هذا مستحيل !.. القانون يمنعنى من هذا ، ما لم يتم تنازلك لى عن العرش رسميًا ، وفى حضور مجلس الحكم ، وما دام هذا المجلس لا وجود له ، فى ظل الاحتلال الجلوريالى ، فالتنازل لن يتمّ أبدًا ، وستحتفظ باللقب الإمبراطورى ، شئت أم أبيت .

قال (نور) فى بساطة :

- ولكننى تنازلت عن اللقب رسميًا من قبل .

قال (بودان) :

- لشقيقى (بودون) ، وليس لى ، والقانون فى هذه الحالة ..؟

اعتدل (نور) فجأة ، وقاطعه قائلًا :

- من يعلم بمصرع (بودون) ؟

أجابه (بودان) ، وقد أدهشه السؤال المباغت :

- مجلس المقاومة السُباعى .

ارتسمت على شفتى (نور) ابتسامة غامضة ، وهو يتراجع فى مقعده ، مغمغمًا :

- عظيم .

ظلّ (بودان) صامتًا لحظة ، يتطلّع إليه فى تساؤل ، ثم لم يلبث أن نقل تساؤله هذا إلى لسانه ، وهو يقول :

- ما الذى تفكّر فيه بالضبط أيها المنقذ ؟

لوّح (نور) بيده ، وقال :

- فى قوة الحرب النفسية يا صديقى ، وفى تلك المصادفة القدرية ، التى جعلت (مشيرة) و (أكرم) ينضمّان إلينا ، فى رحلتنا إلى هنا .

قال (بودان) فى حيرة :

- لم أفهم جيدًا .

اعتدل (نور) مرة أخرى ، وسأله :

- هل يمكنك جمع فريق مقاومة ، من مائة رجل تقريبًا ، دون الرجوع إلى المجلس السُباعى !

أجابه على الفور :

- بالطبع .. فريق نائبى (ديبنتى) يضمّ وحده ألف رجل .

ابتسم (نور) مرة أخرى تلك الابتسامة الغامضة ، وهو يقول :

- عظيم .. أعتقد أننا سنكرّر إعلان بدء الثورة ا عزيزى (بودان) ، ولكن بطريقة أكثر فاعلية .

وتلاشت ابتسامته ، وهو يستطرد :

- وأكثر عنفًا .

ولم يفهم (بودان) بالتحديد ما يقصده قائد المقاومة جديد ، ولكن نظرة واحدة إلى عينى (نور) ، جعلته درك أن الأحداث القادمة ستكون عاصفة ، وأنه على لجلورياليين أن يدركوا أن زمن الضربات الصغيرة قد نتهى إلى الأبد ..

لقد وصل قائد حقيقى إلى (أرغوران) ..

وبدأ الإعصار ..

* * *

كل شىء كان يسير على ما يرام ، فى مركز البث الرئيسى لقوات الاحتلال ..

الجميع يقومون بأعمالهم ، ويبثون البيانات والتعليمات الجلوريالية بشكل منتظم ، عبر شبكة اتصال ضخمة ، منتشرة فى طول القارة وعرضها ، وعيون الحراسة تحيط بالمكان ، وترصد كل ما يحدث حوله ، وطاقم الحراسة الجلوريالى يقف أمام المدخل ، بأسلحته القوية ، ويقظته الدائمة ، و ...

وفجأة ، التقط رادار المراقبة الرئيسى شيئًا يقترب بسرعة ، فأعلن بلغته الجلوريالية على الفور :

ـ جسم غريب يقترب ، ولم يتمّ تحديد هويته .

استقبل قائد طاقم الحراسة الرسالة ، وتابع شاشة الرادار ، ولاحظ وجود جسم كروى يندفع نحو مركز البث ، على ارتفاع ثلاثة أمتار من الأرض ، من اتجاه الشرق ، فقال فى حزم :

ـ فلتستعد عيون الحراسة ، ويتم تدمير الهدف ، فور اقترابه من المجال المحظور لمركز البث .

استعدت وسائل الدفاع كلها ، وتأهبت عيون الحراسة ، المحيطة بالمركز ، وتعلّقت عيون الجميع بذلك الجسم الكروى ، الذى بدا واضحًا للأعين ، وهو يقترب بسرعة ، ثم هتف قائد الحراسة :

ـ دمروا الهدف .

وقبل أن يتلاشى صدى صيحته ، انطلقت الوسائل الدفاعية كلها ، وأصابت الهدف ، الذى انفجر على الفور بدوى مكتوم ..

ثم كانت المفاجأة ..

فمع انفجار الجسم الكروى ، تناثرت منه آلاف الرقائق الإليكترونية الدقيقة ، فى مساحة هائلة ، وراحت كل منها تطلق إشارات خافتة شبه منتظمة ..

واتسعت عيون الجميع فى دهشة وتوتر بالغين ، فلقد تسبّبت تلك الرقائق الصغيرة في اضطراب وسائل البث ، وجذبت إليها كل عيون الحراسة ، كما لو كانت مغنطيسًا هائلًا ، انقسم إلى آلاف المغنطيسات الصغيرة ..

وهنا شعر قائد الحراسة بالقلق ..

لقد تركت كل العيون الحارسة الإليكترونية مواقعها ، وراحت تهاجم الرقائق الصغيرة ، وتُطلق نحوها أشعتها القاتلة ، والجميع يتابعون ذلك المشهد ، الذى ملأ الشرق كله ..

وقبل أن يحلّل عقله هذا الموقف ، أو يستوعب مغزاه ، كان هجوم المقاومة قد بدأ ..

ومن الغرب ... *

ـ سبعون من رجال المقاومة انقضوا على طاقم الحراسة ، الذى أخذته المفاجأة ، وحاول رجاله إطلاق أشعتهم ، ولكن أسلحة رجال المقاومة أسقطتهم بسرعة ، قبل أن يندفع الرجال داخل مركز البث ، وعلى رأسهم (ديجنتى) ، الذى هتف :

ـ قاتلوا يا رجال .. قاتلوا بكل قوتكم ، من أجل (أرغوران) .

وعندئذ فقط انتبه قائد الحراسة إلى الخدعة ، وصرخ فى رجال الأمن ، المنتشرون داخل المركز :

ـ خدعة .. هجوم من الغرب .. استعدوا بأسلحتكم .

هبّ رجاله لصدّ الهجوم ، وانطلقت مئات من خيوط الأشعة داخل المركز .

وكانت الأسلحة الجلوريالية أكثر قوة عمليًا ؛ فهى تسحق كل من تنطلق نحوه سحقًا ، فى حين قد تجرح أسلحة الأرغورانيين أو تصيب فى مقتل ، دون أثر فتاك .

ومع سقوط أكثر من عشرة من رجال المقاومة ، بدأ قائد الحراسة يشعر بالثقة والزهو ، وهتف :

ـ استمروا يا رجال .. سنسحق أوغاد المقاومة هؤلاء عن آخرهم .

ولكنه لم يكد يتمّ عبارته ، حتى أصابته المفاجأة الثانية كالصاعقة ..

لقد اقتحم (نور) و (أكرم) المركز من الشمال ، على رأس ثلاثين رجلًا من أبطال المقاومة الأرغورانية ، و (أكرم) يهتف فى سخرية :

ـ لقد أهملتم الجوانب الأخرى أيها الأوغاد .. أليس كذلك ؟

ومع هتافه ، تردّد فى المكان صوت عجيب ، لم يسمعه مقاتلو الطرفين فى حياتهم قط ..

صوت طلقات الرصاص ، التى تنهمر من مسدس (أكرم) التقليدى ..

كان يحمل مسدسًا آليًا ، أشبه بمدفع رشاش صغير ، وهو الطراز الذى يعشقه ، من الأسلحة التقليدية القديمة ، ويطلقه فى سخاء مدهش أصاب الجلورياليين بذعر عجيب .

وبدأت كفة القتال تميل لصالح قوات المقاومة ، ولكن قائد الحراسة لمح (نور) ، وهو يشق طريقه بين الصفوف ، فاتسعت عيناه فى ذهول ، وردّد :

ـ مستحيل !.. إنه هو !!.. المنقذ المنتظر بنفسه .

ثم حمل سلاحه ، وصرخ وهو يندفع نحو (نور) :

ـ أنا سأحظى بالشرف .. شرف قتل المنقذ .

وكان لصرخته تأثير عجيب ، لم يتوقّعه هو نفسه قط ،

فقد استقبلتها أذنا (نور) ، وسط ضجيج المعركة ، وانتبه إلى أن القائد الجلوريالى يهاجمه ، ورأى السلاح القاتل فى قبضته ، فقفز جانبًا فى سرعة ..

ومع قفزته ، تجاوزته حزمة الأشعة ، ومرقت على قيد سنتيمترات قليلة من رأسه ، فصاح القائد :

ـ اللعنة .

وصوّب سلاحه مرة أخرى نحو (نور) ، ولكنه كان قد فقد زمام المبادرة هذه المرة ، فاندفع نحوه (نور) ، هاتفًا :

ـ خسرت محاولتك يا رجل .

ثم وثب يركل سلاحه فى قوة ، مستطردًا :

ـ وحان دورى .

فقد القائد الجلوريالى سلاحه ، فتراجع فى حنق ، وصاح :

ـ لن تهزمنى أيها المنقذ .

دار (نور) حول نفسه فى رشاقة مدهشة ، وركلت قدمه وجه الجلوريالى فى ضربة شديدة العنف ، دفعته ثلاثة أمتار كاملة إلى الخلف ، قبل أن يرتطم بالجدار ، ويهتف :

ـ اللعنة !.. اللعنة !

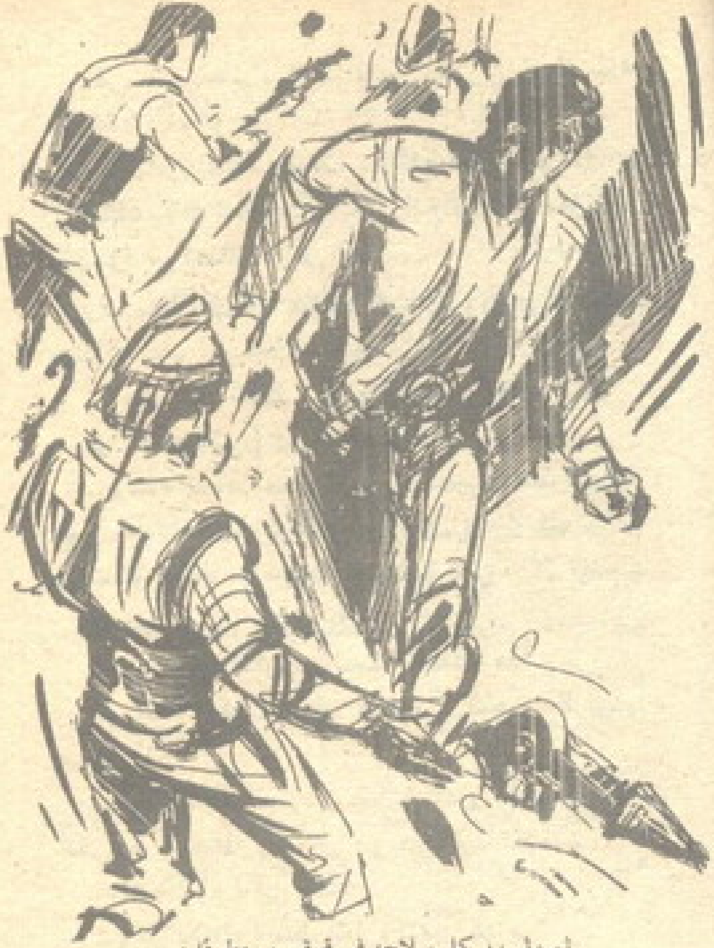

ثم وثب يركل سلاحه فى قوة ، مستطردًا :

ـ وحان دورى ..

وقبل أن يعتدل ، كانت لكمة (نور) تحطم فكه ، وتسقطه فاقد الوعى .

وفى نفس لحظة سقوطه ، ارتفع هتاف كبير ..

هتاف رجال المقاومة ، الذين انتصروا فى معركتهم ، ونجحوا فى احتلال مركز البث ..

وفى سعادة جمة ، هتف (أكرم) ، وهو يرفع مسدسه جانبًا :

- ربحنا أيها القائد .. ربحنا أوّل معاركنا .

لهث (ديجنتى) ، وهو يقول :

- ولكنه انتصار محدود ، فلن تمضى نصف الساعة ، حتى تطبق علينا قوات (جلوريال) من كل جانب ، وتسحقنا جميعًا ، وتستعيد السيطرة على مركز البث .

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

- لن نحتاج لأكثر من نصف الساعة هذا .

ثم اتخذ مقعده أمام كمبيوتر التحكّم الرئيسى ، مستطردًا :

- فى البداية ، سنرسل إشارة تدمير ذاتى لكل عيون الحراسة المحيطة بالمركز ، وبعدها نبدأ لعبتنا .

سأله (أكرم) فى دهشة :

- وهل يمكنك إرسال إشارة تدمير كهذه ؟

أجابه (نور) ، وهو يمرّر أصابعه على الأزرار ، التى تستجيب على الفور :

- نعم .. رجال المقاومة أيضًا لديهم جواسيس يا صديقى .

ومع آخر تمريرات أصابعه ، انطلقت الإشارة ..

وانفجرت كل عيون الحراسة المحيطة بالمركز ..

وفى ارتياح ، قال (نور) :

- الآن يبدأ العمل الأوّل .. هيا يا (أكرم) .. مارس دورك .

وعادت أصابعه تمرّ على الأزرار ، و (أكرم) يعاونه فى سرعة ، فى حين راح (ديجنتى) يراقبهما ، وهو يتساءل فى أعماقه : ما الذى يسعى إليه قائده الجديد بالضبط ؟..

ولم تمض لحظات ، حتى جاءه الجواب واضحًا جليًا ، على شاشة البث الرئيسية ..

وعندئذ أدرك (ديجنتى) ، وهو يحبس أنفاسه انبهارًا ، أنه يعمل الآن تحت إمرة قائد جديد ..

قائد من نوع خاص ..

* * *

« كيف يحدث هذا يا قائد الفرسان ؟.. » .

نطق الإمبراطور (سيلبا) هذه العبارة فى غضب هادر ، وهو يرمق (آجور) بنظرة يتطاير منها الشرر ، قبل أن يستطرد فى ثورة :

— كيف يفلت منك المنقذ ، وينجح فى الهبوط على (أرغوران) ؟.. ألا تدرك ما يعنيه هذا ؟.. ألا تفهم أنك وضعتنا فى موقف شديد السخافة ، بإهمالك هذا ؟

قال (آجور) فى توتر :

— إنه ليس إهمالًا يا مولاى .. لقد وضع أوغاد المقاومة خطة متقنة للغاية لخداعنا ، وتوجيه أنظارنا إلى نقاط بعيدة ومختلفة ، حتى يمنحوا منقذهم المنتظر فرصة الهبوط على (أرغوران) ، وأعترف بأنهم نجحوا فى هذا ، ولكن نجاحهم لا يعنى أننا أهملنا شيئًا ... لقد بذلنا كل ما بوسعنا ، ولكن ..

قاطعه الإمبراطور هائجًا :

— ولكن ماذا ؟.. ولكن المنقذ أصبح هنا الآن ، والثورة اشتعلت بالفعل فى قلوب الأرغورانيين ، وسيصبح إخمادها عسيرًا .

قال (آجور) فى حزم :

— ولكنه ليس مستحيلًا .

تمتم الحكيم (أوراكس) فى وقار :

— هذا صحيح .. لقد اتخذ الصراع منحنى جديدًا ، ولكن هذا لا يعنى أننا فقدنا السيطرة على الأمور ، فمازلنا الأقوى عمليًا .. نحن نمتلك كل وسائل التكنولوجيا ، ونمتلك القوات الكافية لردع أية ثورة ، كما يمكننا أن نعلن بعض الأحكام العرفية الصارمة ، وبث الرعب فى القلوب .

التفت إليه الإمبراطور ، وسأله فى انفعال ، لم يستطع إخماده :

— وما الذى تقترحه يا حكيم القصر ؟

أجابه (أوراكس) :

— فرض حظر التجوال مثلًا ، منذ مغيب الشمس الكبرى ، وحتى شروقها .

شدَّ (آجور) قامته ، وهو يقول :

— عندى اقتراحٌ محدود ، فى هذا الشأن .

التفت إليه الإمبراطور ، وقال فى لهجة عدوانية :

— أما زلت تجرؤ على الإدلاء باقتراحات أخرى ؟!

كتم (آجور) غضبه ، وهو يستطرد ، وكأنه لم يسمع التعليق الإمبراطورى .

— لدينا اختلاف جوهرى عن سكان (أرغوران) ، فقد اعتادوا العيش طيلة عمرهم فى نهار دائم ، حتى أن

عيونهم ذات جفن ثالث ، لتخفيف الإضاءة المستمرة ، أما نحن فكوكبنا يحيا فى ظروف تقليدية ، يتعاقب فيها الليل والنهار ، كما يحدث فى كل المجموعات الشمسية ، ذات النجم المنفرد ، و ...

قاطعه الإمبراطور فى حدة :

- اختصر حديثك يا (آجور) .

عضّ (آجور) شفتيه فى غيظ ، ولكنه تابع :

- أقترح أن نحرمهم شمسهم الصغرى .

بدت دهشة عارمة على وجه الإمبراطور ، فى حين تطلّع (أوراكس) إلى (آجور) فى حيرة ، قبل أن يسأله :

- ماذا تعنى بالضبط يا ولدى ؟

أجابه (آجور) فى حماس :

- كسوف صناعى دائم لشمسهم الصغرى (*) ، بوساطة قرص فضائى معتم ، نطلقه فى مدار ثابت ، بحيث يعترض أشعة شمسهم الصغرى باستمرار .

قال الإمبراطور فى توتر :

- وما الذى يصنعه هذا ؟

أجابه (آجور) :

- ليل صناعى يا مولاى .. ليل لم يعتده سكان

(*) الكسوف : احتجاب ضوء جرم سماوى كليًا أو جزئيًا ، نتيجة مرور جرم آخر، بينه وبين الأرض ، ويحدث للشمس كنتيجة لحركة ظل القمر .

(أرغوران) قط .. حظر تجوال طبيعى .. سيعجزون تمامًا عن التحرّك فى الظلام يا مولاى ، وسيحتاجون إلى وقت طويل للتكيف عليه ، وسنستغل نحن هذا الوقت لنتحرّك فى حرية ، ونضربهم فى عنف .

هزّ الإمبراطور رأسه فى بطء ، وهو يقول :

- فكرة تستحق الدراسة .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى هتف الحكيم (أوراكس) بصوت مرتجف ، وهو يشير إلى شاشة المراقبة :

- مولاى .. انظر .

التفت الإمبراطور وقائد الفرسان فى آن واحد ، إلى حيث يشير الحكيم ، واتسعت عيونهما وهما يتطلعان إلى الشاشة الكبيرة ، التى تنقل البث المنتظم إلى القاعة الإمبراطورية .

وكان ما يرياه أمامهما أمرًا لم يتوقعاه قط ..

أمرًا عجيبًا ومفاجئًا ..

مفاجئًا للغاية .

* * *

٨ ـ الرسـالة ..

« انتبهوا يا شعب (أرغوران) .. الإمبراطور (بودون) يتحدث إليكم ، على الهواء مباشرة .. » .

التفت شعب (أرغوران) بأكمله ، فى ذهول تام إلى شاشات البث ، التى نشرها العدو فى كل بقعة من بقاع الكوكب ، وتطلعوا إلى صورة الإمبراطور (بودون) ، التى تملأ الشاشات ، وهو يستطرد فى هدوء :

ـ معظمكم ، أو كلكم تقريبًا تصوّرتم أننى لقيت مصرعى ، أو هربت بعيدًا عن (أرغوران) ، ولكننى أتحدث إليكم الآن ، من مركز البث الرئيسى للمحتلين ، بعد أن نجحت قواتنا فى السيطرة عليه ، بقيادة المنقذ المنتظر ، الذى هبط بسلام على كوكبنا ، ويتزعم الآن جيش مقاومتنا كله .

تفجّر كل انفعال الشعب فى صيحة واحدة ، كادت ترج الكوكب كله ، عندما انطلقت من الحناجر كلها فى آن واحد ، مع حماس رهيب ، انتظره الجميع طويلًا ..

وفى حزم إمبراطورى ، تابع (بودون) :

ـ حانت لحظة الثورة .. سنرفض المحتلين ، ونقاتلهم فى كل ركن .. إنها بداية النهاية للاحتلال .

وتراجعت الصورة ؛ ليظهر (نور) إلى جوار (بودون) ، وهو يقول بلغة (أرغوران) :

ـ نعم .. هى بداية النهاية ، ولكننا نطالبكم بالتزام الهدوء .. لا تندفعوا لمقاتلة العدو الآن ، وقلوبكم مفعمة بالانفعال ، فهو يتفوّق عليكم بالسلاح والعتاد ، ومواجهته مباشرة لن تؤدى إلا لمذبحة رهيبة ، لا مبرّر لها الآن .

والتقط منه (بودون) طرف الحديث ، ليكمل :

ـ ولكن هذا لن يستمر طويلًا .. سنواصل ضرباتنا للعدو بلا رحمة أو هوادة ، حتى يذوب فارق القوة بيننا وبينه ، وعندئذ تحين لحظة الثورة الشاملة ..

وأضاف (نور) فى حزم :

ـ وهذا وعد .

تفجّرت صرخة حماسية أخرى فى الكوكب ، كاد يتهاوى لها عرش الإمبراطور (سيلبا) ، الذى صرخ فى جنون :

ـ هل رأيت يا (آجور) ؟.. هل رأيت ما فعله تقاعسك ؟

انتزع (آجور) جهاز اتصاله الخاص من حزامه ، وقال فى توتر شديد :

ـ أرسلوا جيشًا كاملًا إلى مركز البث .. أريد القضاء على هذا التمرّد فورًا ، وبلا إبطاء .

ولم يكد جيشه يتلقى الأمر ، حتى انطلقت عشر فرق كاملة إلى مركز البث ، وهناك رأوا شظايا عيون الحراسة ، وبقايا الرقائق الإليكترونية ، وجثث الضحايا ، فقال قائد الفرق ، عبر جهاز الاتصال :

ـ وصلنا إلى الموقع يا سيّدى ، وننتظر الإذن باقتحامه .

هتف (آجور) :

ـ وماذا تنتظر ؟.. اقتحمه يا رجل دون إبطاء .

انقضت الفرق العشر على المركز ، وأحاطت به إحاطة السوار بالمعصم ، وراحت حزم الأشعة تنهال عليه ، وقوات (جلوريال) تقتحمه فى شراسة ، حتى وصل قائدها إلى حجرة البث ، وهتف فى دهشة :

ـ ولكن المكان خالٍ تمامًا يا سيّدى .

هتف به (آجور) ، عبر جهاز الاتصال :

ـ ماذا تعنى بأنه خال ؟!.. لم يكن لديهم الوقت الكافى للفرار ، وهم يقولون : إنه بث مباشر ، على الهواء مباشرة !

أجابه قائد القوات متوترًا :

ـ كلا يا سيّدى .. إنه شريط مسجل ، و ... اللعنة !

صاح (آجور) ، وقد بلغ توتره وانفعاله ذروتهما ، كما حدث مع الإمبراطور و (أوراكس) :

ـ ماذا لديك يا هذا ؟.. أجب بسرعة .

صرخ قائد القوات ، فى توتر رهيب :

ـ إنه فخ يا سيّدى .. كل شىء سينفجر بعد قليل .. كل شىء .

قالها وألقى جهاز الاتصال ، وانطلق يعدو بكل قوته ، صارخًا فى رجاله :

ـ اهربوا .. غادروا المكان فى سرعة .. إنه فخ .. فـ ..

وقبل أن يتمّ عبارته دوّى انفجار هائل ..

انفجار سحق مركز البث عن آخره ، وأطاح بالفرق العشر عن آخرها ..

وعلى شاشة المراقبة ، رأى (آجور) هذا المشهد الرهيب ..

رآه مع الإمبراطور وحكيم القصر ..

ولثوان ، شلّ الذهول ألسنتهم تمامًا ، قبل أن يغمغم الإمبراطور :

ـ لقد .. لقد فعلوها .

وهنا تمتم الحكيم فى ارتياع :

- خسرنا عشر فرق فى لحظة واحدة .

أما (آجور) ، فلم يقو على نطق حرف واحد ..

كان الغضب الذى يعصف بأعماقه هائلًا رهيبًا ، حتى أنه لم يستطع نطق حرف واحد ، فى حين هتف الإمبراطور :

- وخسرنا شبكة البث أيضًا .

ولكن الحكيم قال فى أسى :

- ما زالت لدينا شبكة الطوارئ يا مولاى ، ويمكننا تشغيلها على الفور ، ولكن الرجال يستحيل تعويضهم .

صرخ الإمبراطور :

- كل هذا بسبب خطأ (آجور) .. لو أنه منع المنقذ من الوصول إلى هنا ، لما حدث كل هذا قط .

انتزعت الصرخة (آجور) من صمته ، فهتف :

- مولاى .

صاح به الإمبراطور :

- اغرب عن وجهى .. لست أرغب فى رؤيتك أو سماع صوتك .. اغرب عن وجهى .

بدا الغضب الشديد على وجه (آجور) ، واندفع يغادر المكان فى حدة ، وقطع الممر المؤدى إلى حجرته الخاصة فى خطوات واسعة سريعة ، وهو يكاد ينفث النيران من

أنفه ، ولكنه لم يكد يبلغ الحجرة ، حتى استقبله أحد ضباطه ، قائلًا :

- سيدى .. مقاتلاتنا عادت من (ميروريا) .

قال (آجور) فى عصبية :

- وما الذى تريده منى ؟.. هل أوصى بمكافأتهم على فشلهم ؟

هزَّ الضابط رأسه نفيًا ، وقال :

- كلَّا يا سيدى .. ولكنهم أرسلوا تقريرًا عاجلًا ، ويقولون : إن لديهم ما يهمك .

التقط (آجور) التقرير ، ودسَّه فى جهاز الكمبيوتر الخاص به ، وقرأ الرسالة على الشاشة ، وهو يتابع الفيلم المصاحب لها ..

وبرقت عينا (آجور) ..

برقتا كألف شمس صغيرة ، وهو يتابع التقرير .

لقد كان ما لديهم يهمه بالفعل ..

بل كان قادرًا على تغيير مسار الثورة كلها ..

وبلا أدنى شك ..

* * *

تحرَّك (أكرم) فى سعادة غامرة ، داخل مقر المقاومة السرى ، وهو يهتف فى حماس منقطع النظير :

- انتصرنا أيها السادة .. انتصرنا فى أوّل مواقعنا انتصارًا ساحقًا ، سيسجله تاريخ (أرغوران) إلى الأبد .. كم أتمنى لو أن سكان الأرض رأوا ما حدث .

أجابته (مشيرة) بسرعة :

- اطمئن .. لقد سجّلت الموقف كله .

أما (محمود) فغمغم فى خفوت :

- لو أنه انتصار ساحق إلى هذا الحد ، فلماذا يبدو (نور) حزينًا هكذا ؟

التفتت عيون الجميع إلى (نور) ، الذى غاص فى مقعده ، وأسند جبهته على راحتيه ، وكل خلجة من خلجاته تشفّ عن حزن عميق بلا حدود ، ثم تمتمت (سلوى) :

- أظننى أعلم سبب حزنه .

وقالت (نشوى) فى تعاطف مشفق :

- وأنا أيضًا .

تطلّع إليهما (بودان) فى حيرة ، وقال :

- أما أنا ، فلست أفهم هذا الموقف قط .

وهنا رفع (نور) إليهم عينين مغرورقتين بالحزن والأسى ، وهو يسأل :

- من المسئول عن نسف مركز البث ؟

أجابه (بودان) :

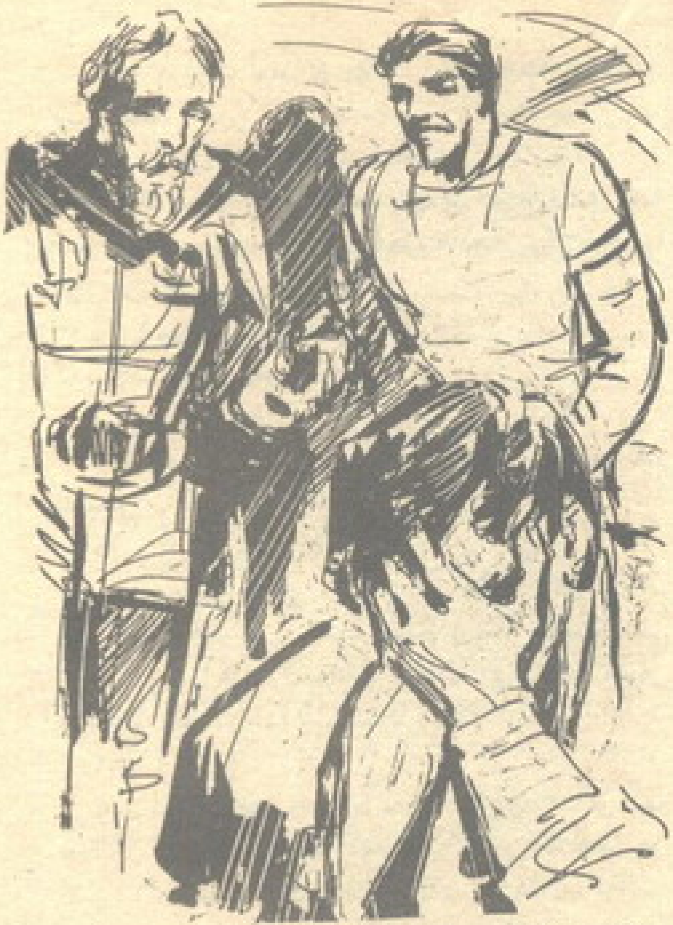

التفتت عيون الجميع إلى (نور) ، الذى غاص فى مقعده ، وأسند جبهته إلى راحتيه ..

- أنا أصدرت أوامرى بهذا .. كانت خطة ناجحة .. أليس كذلك ؟

هتف (نور) فى غضب مباغت :

- خطة ناجحة ؟!.. ما حدث لا يمكن أبدًا أن تطلق عليه اسم الخطة يا رجل .. لقد كان مجرَّد مذبحة ، راح ضحيتها أكثر من ألف رجل .

قال (بودان) فى توتر :

- ألف جندى جلوريالى .

صاح (نور) فى مرارة :

- بل ألف من مخلوقات الله (عزَّ وجلَّ) .. نهر من الدم المسفوك ، دون مبرِّر منطقى .

قال (أكرم) فى حدة :

- دون مبرِّر منطقى ؟!.. أى قول هذا يا (نور) ؟!.. إنها قواعد الحرب .. كانت أمامنا فرصة للقضاء على عشر فرق من قوات المحتلين ، ففعلنا ، ولو كانوا هم فى موضعنا ، لما ترددوا فى سحقنا سحقًا .

هتف (نور) :

- بم نتميَّز عنهم إذن ؟.. لماذا نحاربهم ؟.. لو أنهم يسفكون الدماء ، ونحن نريقها أنهارًا ، فمن منا أفضل من الآخر ؟.. إنكم تحاربون الشر بالشر ، وهذا ما أرفضه تمامًا .

سأله (محمود) فى حيرة :

- ما الذى تتوقَّع منا فعله إذن ؟

رفع (نور) يده فى حزم ، وهو يقول :

- أن نكون مقاتلين شرفاء ، نحارب من أجل الحق والعدالة وحدهما .. نثير جنون العدو ، ونوجِّه إليه الضربة تلو الأخرى ، ونحطم دفاعاته ، ونزيل قوته ، ولكن دون إراقة الدماء ، إلا للضرورة القصوى .

قال (بودان) فى دهشة :

- أية حرب هذه ؟

شدَّ (نور) قامته ، وهو يقول فى اعتداد :

- حربى أنا يا (بودان) .. الحرب الوحيدة ، التى يمكن أن أقود خلالها جيشًا .. لقد قطعت ملايين السنوات الضوئية ، من (الأرض) إلى هنا ؛ لأقود جيشًا من أبطال المقاومة ، الذين يرفضون احتلال كوكبهم ، ويبذلون أرواحهم فى سبيل حريته وكرامته ، لا طغمة من السفاحين وسافكى الدماء ، الذين يتلذذون بالقتل والتدمير ..

قال (بودان) فى تأثُّر :

- وكلنا خلفك أيها المنقذ .. كلنا نعترف بعبقريتك فى القيادة ، ونؤمن بقدرتك على تحرير كوكبنا .. مرنا وستجدنا جميعًا خلفك .

هدأت العبارة ثائرة (نور) إلى حد ما ، فانخفضت حدة صوته ، وهو يقول :

- سنتبع الشكل التنظيمى يا (بودان) .. لا أحدٌ يصدر أمرًا فرديًا ، دون الرجوع إلىّ ، إلا فى لحظات الاشتباك الفعلية ، حتى لا تتخبّط أساليبنا وتتضارب أوامرنا ، فالمستفيد الوحيد من ارتباكنا هو العدو وحده .

صمت (أكرم) تمامًا ، فى حين قال (بودان) فى حرارة :

- سمعًا وطاعة .

التقط (نور) نفسًا عميقًا ، للسيطرة على مشاعره تمامًا ، فى حين قال (محمود) ، فى محاولة لتهدئة المناخ :

- الواقع أن الضربة الأولى كانت عبقرية يا (نور) ، فلقد تقمّص (بودان) شخصية شقيقه (بودون) ببراعة نادرة ، وهو يبث الرسالة لشعب (أرغوران) ، الذى يتصوّر الآن أن إمبراطوره الشرعى ما زال على قيد الحياة ، وأنكما تقاتلان معًا لتحرير الكوكب .

وقالت (مشيرة) فى حماس :

- ثم إن خطة اقتحام مركز البث أيضًا كانت رائعة ، والرقائق الإليكترونية التى ابتكرها (محمود) كانت ناجحة للغاية .. لقد أربكت عيون الحراسة تمامًا ..

أما (أكرم) ، فلم يحمل صوته نبرة الرضا ، وهو يقول :

- ولكن الأمر لم يرق لى تمامًا .

التفت إليه (نور) ، يسأله :

- ولمَ ؟..

لوّح بذراعه ، قائلًا :

- ما دمنا نمتلك الشفرة السرية ، التى تدفع عيون الحراسة لتدمير نفسها ذاتيًا ، فلماذا لم ننسفها كلها دفعة واحدة ؟

واندفع يستطرد فى حدة مباغتة :

- هل تعتبر هذا أيضًا سفكًا للدماء ؟

تطلّع إليه (نور) لحظة فى صمت ، ثم قال فى هدوء :

- كلّا يا (أكرم) ، ولكننا لم نكن نملك تدمير كل عيون الحراسة ، فالشفرة التى حصل عليها جواسيسنا كانت تخص مجموعة عيون الحراسة ، التى تحيط بمركز البث الرئيسى فحسب ، أما الوسيلة الوحيدة لنسف كل عيون الحراسة على (أرغوران) ، فهى أن يتمّ تدمير جهاز التحكم المباشر فيها .

صاح (أكرم) :

- وأين هذا الجهاز اللعين ؟

أجابه (نور) بنفس الهدوء :

- فى قلب عرش امبراطور (جلوريال) .

انعقد حاجبا (أكرم) فى شدة ، وهو يتطلع إلى (نور) ، ثم أشاح بوجهه ، مغمغمًا :

- اللعنة !

كان من الممكن أن يتسبب هذا الموقف فى توتر الجو كله مرة أخرى ، لولا أن اندفعت (نشوى) تقول :

- وماذا لو حاولنا تطوير إشارة إليكترونية خاصة ، لتؤدى هذا العمل ؟

التفت إليها الجميع ، وقال (محمود) فى اهتمام بالغ :

- هذا أمر عسير للغاية .

ثم امتلأ صوته بالحماس ، وهو يستدرك :

- ولكنه ليس مستحيلًا .

وهتفت (سلوى) :

- بالتأكيد .. لو تعاوننا أنا و (محمود) ، فقد يمكننا ابتكار مثل هذه الإشارة .

قال (بودان) فى حماس :

- عظيم .. ستكون خطوة عظيمة ، لو أمكننا هذا .

اعتدل (نور) ، وقال فى حزم :

- فليبدأ (محمود) و (سلوى) إذن فى دراسة هذا الأمر ، وفى الوقت نفسه ستتعاون (نشوى) مع (مشيرة) ، لإنشاء محطة البث الخاصة بنا .

تألقت عينا (مشيرة) ، وهى تهتف :

- حقًا ؟!.. هل سنفعل هذا ؟

أجابها (نور) :

- نعم .. سنستخدم وسيلة مبتكرة فى بث ما نريد ، وسنستغل شبكة البث ، التى أقامها المحتلون ، وفى الوقت نفسه سنثير حيرتهم وحنقهم ، وهم يبحثون عن وسيلة البث ، فسنعد كل ما نريد هنا ، ثم نبثه إلى (أرغوريا) ، التى تدور فى مدار (أرغوران) طوال الوقت ، وستستخدم هى موجة بث فائقة ، بحيث تسيطر تمامًا على شبكة اتصالات العدو ، وتجند أجهزته لحسابها ، خلال فترة بث بياناتنا ، التى لن تستغرق سوى دقائق معدودة ، حتى لا نسمح للأعداء بتعقب مصدرها .

قالت (مشيرة) فى انبهار :

- أتعنى أننا سنهيمن على البث ، خلال تلك الدقائق ؟

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وقال :

- نعم .. وستكونين المتحدثة الرسمية باسم المقاومة يا (مشيرة) .

صفقت بكفيها فى جذل طفولى ، وهى تهتف :

- رائع .. هذا أعظم ما كنت أصبو إليه .

قال (أكرم) فى عصبية لم يكن لها ما يبررها :

- وماذا عنى ؟.. هل سأبقى فى المقر السرى أيضًا ؟.. ما رأيك لو توليت أعمال التنظيف والطهى ؟

تطلّع إليه الجميع فى حيرة ، وهم يتساءلون عن سر عدوانيته ، فى حين تحدّث إليه (نور) فى هدوء شديد ، قائلًا :

- كلا بالطبع يا (أكرم) ، لا يمكننى أن أهدر طاقة مقاتل عظيم مثلك ، فى أعمال تقليدية بسيطة كهذه .

بدت الدهشة فى وجه (أكرم) ، وهو يحدّق فى وجه (نور) ، فى حين ابتسم (بودان) ابتسامة خافية ، تحمل شبح إعجاب وتقدير ، و (أكرم) يهتف :

- حقًا ؟!.. هل تعتبرنى مقاتلًا عظيمًا ؟

أجابه (نور) فى هدوء :

- ألديك أدنى شك فى هذا يا صديقى ؟!.. صحيح أننا نختلف كثيرًا فى الأسلوب ، ولكن هذا لايمنعنى من الإعجاب بشجاعتك وبسالتك ، وإقدامك المدهش فى أثناء القتال .

لانت ملامح (أكرم) كثيرًا ، وهو يقول :

- أشكرك يا (نور) .

لوّح (نور) بكفه ، وهو يقول :

- لم أقل سوى الحقيقة يا صديقى ، والآن هيا بنا ، ستكوّن أنت و (بودان) وأنا مجلس حرب ، يضع استراتيجية القتال مع العدو .

ابتهج (أكرم) فى وضوح ، وهو يقول :

- أراهن أننا سنثير جنونهم الى أقصى حد .

أدرك (بودان) أن (نور) قد نجح بلباقته فى احتواء (أكرم) ، ولكنه تجاهل الموقف كله ، وهو يسأل (نور) :

- قل لى أيها القائد : هل تقترح أن نهدأ قليلًا ، حتى يمتصّ الجلورياليون صدمة نسف مركز البث ، ثم نهاجم مرة أخرى ؟

هزّ (نور) رأسه نفيًا ، وقال :

- مطلقًا .. فى وطنى حكمة تقول : « من الأفضل الطرق على الحديد وهو ساخن » ؛ لذا فسنقوم بالضربة الثانية بسرعة .

سأله (بودان) فى حذر :

- ومتى نفعل هذا ؟

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

- بعد ساعة واحدة من الآن .

واتسعت عيون الجميع فى دهشة ، وقد حملت إليهم عبارة (نور) مفاجأة مذهلة ، وهتف (محمود) :

- وما الذى يمكنك أن تفعله ، خلال ساعة واحدة يا (نور) ؟

ابتسم (نور) ، وهو يجيب :

- لست أسعى لتدمير هدف آخر ، أو الاشتباك مع العدو فى قتال جديد ، حتى ولو كان قتالًا محدودًا .

وبدت ابتسامته عجيبة ، وهو يضيف :

- كل ما أسعى إليه هو رفع علم (أرغوران) ، فوق أهم بناء من أبنية العدو .

تبادل الجميع نظرات متسائلة قلقة ، و (بودان) يقول :

- أهم بناء ؟!.. أى مكان تقصد بالضبط يا (نور) ؟

اتسعت ابتسامة (نور) ، وهو يشير إلى نقطة ما على الخريطة ، مجيبًا :

- هذا المكان بالتحديد ..

وتفجرت دهشة عنيفة فى وجوه وعيون الجميع ؛ فالمكان الذى أشار إليه (نور) لم يكن سوى القصر .. قصر إمبراطور (جلوريال) . .

* * *

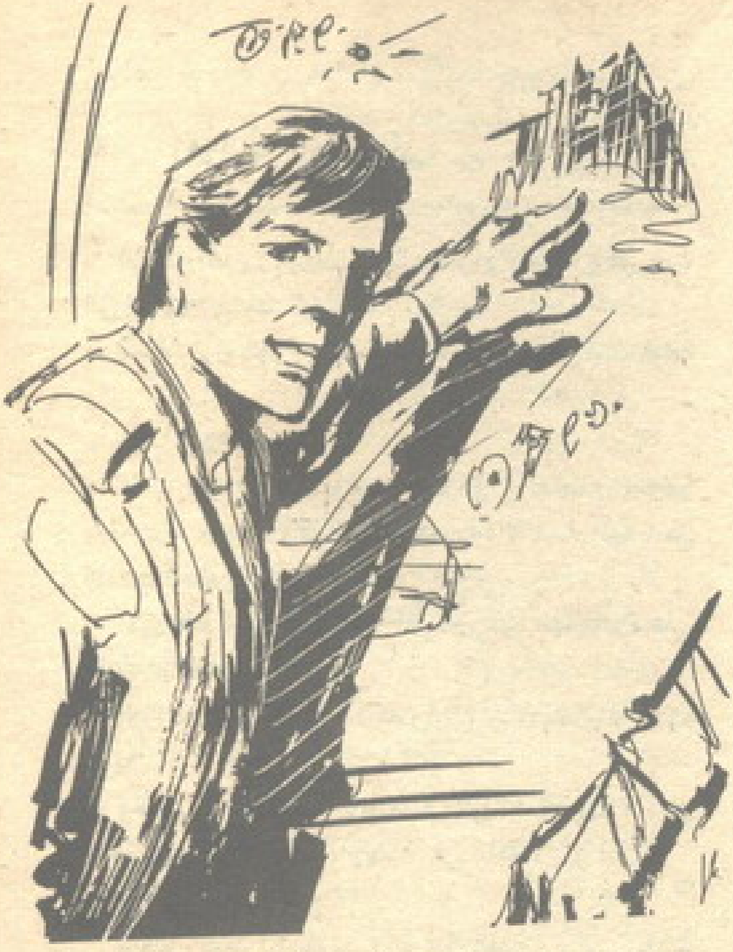

اتسعت ابتسامة (نور) ، وهو يشير إلى نقطة ما على الخريطة ، مجيبًا : - هذا المكان بالتحديد .

٩ ـ نقطة الضعف ..

امتلأت نفس (ديجنتى) بالحماس والظفر ، وهو يعود إلى منزله فى هذا اليوم ..

لقد قاد أول هجوم عنيف ومباشر للمقاومة ، تحت قيادة (نور) ..

وياله من هجوم!!!..

كانت عروقه كلها تنبض بالزهو والانتصار ، وهو يستعيد ما حدث ، وقلبه يخفق بسعادة لا حصر لها ، مع النتائج المبهرة للهجوم ..

الآن فقط أعلنت المقاومة الأرغورانية أنها قادرة على التصدى للعدو ..

الآن فقط يعلم شعب (أرغوران) أن الاحتلال لن يدوم طويلًا ..

وانتشى (ديجنتى) باستعادة ذكرياته القريبة ، وهو يغلق باب منزله خلفه ، ويتجه إلى النافذة ، و ...

« لا تفتح النافذة ... » .

انتفض جسد (ديجنتى) مع تلك العبارة ، التى جاءت

من ركن مظلم ببهو المنزل ، واستدار يواجه مصدرها فى سرعة ، وهو يستل سلاحه ، هاتفًا :

ـ (هونور) .. إنه أنت أيها الـ ...

انقض عليه (هونور) كالعاصفة ، وهو يقول فى حدة :

ـ إياك أن تنطقها .

وأمسك معصم (ديجنتى) فى قوة ، ولواه فى قسوة ؛ ليجبره على إفلات سلاحه ، وهو يستطرد :

ـ لقد احتملت منكم الكثير حتى الآن .

دار (ديجنتى) حول نفسه فى مهارة ، وركل (هونور) فى معدته ، وهو يقول :

ـ بل نحن احتملنا خيانتك وحقارتك ، و ...

قفز (هونور) نحوه ، وهو يصرخ فى ثورة :

ـ قلت لك : إياك أن تنطقها .

ولكم (ديجنتى) بكل قوته ، ثم التف حوله فى خفة ، على الرغم من ضخامته ، ولوى ذراعه خلف ظهره فى سرعة ، قبل أن يحيط عنقه بذراعه الأخرى ، مستطردًا :

ـ يمكننى أن أقتلك من أجل هذا .

حاول (ديجنتى) أن يتخلص منه ، ولكن (هونور) كان قويًا للغاية ، حتى أنه سيطر على خصمه تمامًا ، وضغط عنقه بذراعه فى قسوة ، قائلًا :

- والآن ماذا تتوقع من خائن مثلى يا (ديجنتى) ، بعد أن كشفت أمره ؟. من الطبيعى أن يقتلك .. أليس كذلك ؟

حاول (ديجنتى) أن يقاوم أكثر وأكثر ، ولكن قبضة (هونور) سيطرت عليه بقوة مدهشة ، فأيقن من مصرعه ، وهو يختنق ، و ...

وفجأة ، أفلته (هونور) ، ودفعه بعيدًا ، وهو يقول :

- هيا .. اذهب .

سعل (ديجنتى) فى قوة ، بعد أن تحرّر عنقه ، والتفت فى دهشة إلى (هونور) ، الذى أضاء مصباح الردهة ، والتقط زجاجة ماء ، قائلًا :

- القتال معك أصابنى بعطش شديد .

وراح يجرع الماء فى نهم ، دون أن يلتفت إلى (ديجنتى) ، الذى تطلّع إليه لحظات فى دهشة وحيرة ، قبل أن يتخذ مقعدًا ، ويسأله فى عصبية :

- ما الذى أتى بك إلى هنا ؟

أبعد (هونور) الزجاجة عن شفتيه ، ومسح فمه بكفه ، وهو يقول فى حدة :

- وأين لى أن أذهب ، بعد أن لوّثتم سمعتى ، وأذعتم فى كل مكان أننى جاسوس خائن ، وأرقتم دمى ؟

قال (ديجنتى) متوترًا ، وهو يمسح عنقه بكفه :

- أنت فعلت بنفسك هذا .

صاح (هونور) غاضبًا :

- أنا لم أفعل شيئًا .. من المستحيل أن أخون (أرغوران) ، حتى ولو منحونى وزن شمسه الكبرى أموالًا وألقابًا .. هناك شىء ما .. أحدهم عمل على توريطى فى هذا الموقف السخيف .

قال (ديجنتى) فى صرامة :

- مستحيل !.. خطة القائد كانت دقيقة للغاية .. أنت وحدك كنت تعرف الموقع والموعد .

هتف (هونور) :

- وهذا ما يثير جنونى .. كيف عرف الجاسوس ما أعرفه ؟

قال (ديجنتى) :

- سل نفسك .. إننى أشعر بالمرارة ، كلما تذكّرت أنك كنت أكثر من أثق به ، فى حياتى كلها .

التفت إليه (هونور) فى حنق ، وحدجه بنظرة غاضبة ، قبل أن يقول :

- اسمع يا (ديجنتى) .. على الرغم من خلافاتنا الطويلة ، إلا أننى أيضًا ظللت أعتبرك أكثر من أثق به ، فى الكون كله .. ولهذا اخترت منزلك بالذات اليوم ، لأحصل على قدر من الراحة ، وأسعى لإثبات براءتى ،

ولو أنك تشك لحظة واحدة فى أننى خائن وجاسوس ، فسأغادر منزلك على الفور ، ولن أعود إليه قط .

ابتسم (ديجنتى) فى عصبية ، وهو يقول :

- مسرحية جيدة ، ولكنك تعلم أنه لن يمكنك مغادرة المنزل الآن ، فقد بدأت ساعات حظر التجوال ، وعيون الحراسة فى كل مكان .

لوّح (هونور) بذراعه ، وقال وهو يتجه إلى الباب :

- لا تجعل هذا يقلقك .. لدى وسائلى فى التعامل مع عيون الحراسة هذه .

هتف (ديجنتى) :

- أرأيت ؟!.. إنها المرة الثانية ، التى أسمعك فيها تذكر هذا .. كيف يمكنك التعامل مع عيون الحراسة ، لو لم تكن خائنا ، تتعامل مع العدو ؟

أجابه (هونور) فى حدة :

- أخطأت الاستنتاج أيها الغبى .. عيون الحراسة تخطئ تمييزى ، بسبب الجهاز الصغير الذى أحمله ، والذى يوهمها بأننى أحد مقاتلى (جلوريال) .

قال (ديجنتى) :

- هذا يدينك أكثر .. من أين لك بجهاز كهذا ؟

أجابه فى غضب :

- إنه هدية من ...

وبتر عبارته بغتة ، قبل أن يندفع نحو (ديجنتى) ، هاتفا :

- اللعنة !.. كيف لم أنتبه إلى هذا ؟!

سأله (ديجنتى) فى توتر :

- ماذا تريد أن تقول ؟

أمسك (هونور) كتفيه ، صائحا فى انفعال :

- لقد عرفته يا (ديجنتى).. عرفت من هو الجاسوس .

واتسعت عينا (ديجنتى) فى دهشة :

دهشة عارمة ..

* * *

استرخت (مشيرة) فى مقعدها ، وهى تتطلع إلى شاشة المراقبة ، قائلة :

- لقد عاود الجلورياليون البث بسرعة مدهشة .

تطلّع الجميع إلى الشاشة ، وقال (نور) :

- من المؤكد أن لديهم محطة بث احتياطية ، يمكن ربطها بالشبكة ، فى حالة تدمير المحطة الرئيسية ، أو إصابتها بعطب ما .

أومأت (مشيرة) برأسها إيجابا ، وقالت :

- هذا أمر طبيعى .. لدينا الشىء نفسه فى الأرض .

ضحكت (سلوى) ، وقالت :

- أراهنكم على أن أول ما سيبثونه هو استنكار ما حدث ، أو حتى نفى حدوثه ، على الرغم من دوى الانفجار تردد فى القارة كلها .

قالت (نشوى) ، وهى تتابع الشاشة فى اهتمام :

- إنهم يعلنون بعض الأحكام العرفية .

ابتسم (محمود) ، وقال :

- هذا دأب المحتلين ، فى كل مكان وزمان .. يتصوَّرون أن المزيد من القسوة سيؤدى إلى إخضاع المتمردين والـ ...

بتر عبارته مع صيحة (نشوى) :

- انظروا .. لقد قطعوا البث ، وهناك رجل يحتل الشاشة .. إنه ضابط جلوريالى .. أليس كذلك ؟

أجابها (بودان) ، وهو يتطلَّع إلى الشاشة فى انتباه شديد :

- إنه (آجور) .. قائد فرسان الإمبراطور .

انتقل اهتمامه وانتباهه إلى الجميع ، الذين راحوا يراقبون (آجور) على الشاشة ، وهو يقول فى صرامة :

- هذه الرسالة ليست موجَّهة إلى شعب (أرغوران) كله ، بل إلى طغمة الأوغاد ، التى تتصوَّر نفسها قادة المقاومة ، وبالذات إلى منقذكم المنتظر ، الذى قطع ملايين الأميال ، من (سيتا ـ ٣) إلى هنا ، ليلقى حتفه على أرض كوكبكم الحقير .

غمغم (أكرم) فى سخرية :

- رقيق للغاية هذا الوغد .

أشار إليه (نور) أن يصمت ، وهو يستمع جيدًا إلى (آجور) ، الذى يتابع :

- إنكم تتصوَّرون أن عمليتكم السخيفة هذه قد أقلقتنا ، وأننا سنرتبك ونضطرب ، وننهار مع ضربة عشوائية تافهة كهذه .. ولكن الواقع أننا أقوى كثيرًا مما تظنون .. بل أقوى منكم يا سكان (سيتا ـ ٣) ، فنحن قوم محاربون ، بلا نقاط ضعف .. أما أنتم يا أهل (سيتا ـ ٣) ، فلديكم نقطة ضعف هائلة ، تجعلنا نتفوَّق عليكم دائمًا .

وارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة ، وهو يستطرد :

- أنتم تخضعون كثيرًا لقلوبكم ومشاعركم .

عاد (أكرم) يغمغم فى سخرية :

- هذا ما نطلق عليه اسم (آدمية المشاعر) أيها الغبى .

ومع قوله ، راحت الصورة تتباعد فى بطء ، و (آجور) يقول :

- وكوسيلة للطرق على نقطة ضعفكم هذه ، أردت أن أريكم أن لدينا شيئًا يهمكم .. يهمكم بشدة .

وتباعدت الصورة أكثر وأكثر ، لتشمل المكان الذى يجلس فيه (آجور) ، وكل المحيطين به ، ومع ابتعادها تجمَّدت الدماء فى عروق (نشوى) ، وتشبثت بمقعدها فى قوة ، وهى تهتف بصوت مختنق :

- مستحيل !

وتراجعت (سلوى) كالمصعوقة ، فى حين شهقت (مشيرة) فى قوة ، وعقد (أكرم) حاجبيه فى شدة ، وغمغم (بودان) فى حيرة :

ـ ما هذا بالضبط ؟

أما (نور) ، فلم ينبس بحرف واحد ، وهو يحدّق فى الشاشة بانفعال جارف ، ، فقد كان المشهد الذى تنقله الآن مذهلًا ..

مذهلًا بكل المقاييس .

* * *

(انتهى الجزء الثانى بحمد الله)

□ ويليه الجزء الثالث بإذن الله □

[الانفجـــار]